فن الهوى

أوفيد





فَنُّ الهَوى

أوفيد

الإخـراج والإشـراف الفـنّي

عبد السلام الشريف

اللوحات الملوّنة بريشة الفنّان

يوسف فرنسيس

الناشر: دار الشروق

بيروت: مارالياس - شارع سيدة صيدنايا - بناية صفصا
ص.ب: ٨٠٦٤ - برقيا: داشروق - تلكس ٢٠١٧٥١٤
SHOROK - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ - ٣٠٧٩٨٤

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ت: ٣٩٢٩٣٢٣ / ٣٩٣٤٥٧٨
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ - تلكس ٩٢٠٩١ SHROK UN
٨ شارع سيبويه المصري - مدينة نصر - ت: ٢٦٢٣٣٩٨
٢٦٢٣٥٤٨ - فاكس ٦١٧٥٦٧

فن الهوى

أوفيد

ترجمه وقدم له

دكتور ثروت عكاشة

راجعه على الأصل اللاتيني

دكتور مجدي وهبة



مقدمة

١

لا يكاد القارئ يطالع كتاب « فن الهوى » Ars Amatoria لمؤلفه پوبليوس أوڤيديوس ناسو حتى يستهويه ما جاشت به عواطف هذا الشاعر وما انطلق به لسانه في عبارات أنيقة وصياغة دقيقة للأساطير القديمة ، فيها مزيج من ثقافة عصره وأحاسيس وجدانه ، حتى أنه ترك أثراً واضحاً في مختلف فنون العصور التالية حتى عصر النهضة [١] .

ولكي نقدر الشاعر قدره الحق ، ونعرف لشعره منزلته فلنخض في سيرته لحظة لنلمّ بجوانب شخصيته وسلوكه وندرك طرفاً من أسلوب العصر ونهجه حتى نعرف ما كان للبيئة التي عايشها الشاعر من أثر في حياته ومدى استجابته لها ، فقلما يفلت الفنان من أثر البيئة التي ينبت فيها .

ولد أوڤيد لأب موسر في مدينة سولمونه على بعد تسعين كيلومتراً شرقي روما ، وكان مولده سنة ٤٣ قبل الميلاد وتوفي سنة ١٨ ميلادية بمنفاه في بلدة « توميس » [٢] على البحر الأسود ، أي أنه

---

(١) انظر مقدمة كتاب مسخ الكائنات « ميتامورفوزيس » لأوڤيد ، ترجمة د. ثروت عكاشه . الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة ١٩٧٢ .
(٢) كونستانزا برومانيا الحالية .

عاش اثنين وستين عاماً عاصر فيها العصر المتأغرق [1] ونهل من ثقافته وتأثر بتقاليده خلال عصر الإمبراطور أوغسطس ، وكان أوڤيد آخر الشعراء الأوغسطيين ، وزامل منهم هوارس وپروپيروتيوس وڤرچيل أشهر شعراء ذلك العصر وأحد أصدقائه المقربين .

ولقد أعدّه أبوه ليشغل وظيفة في الحكومة فانتقل إلى روما مع أخ له حيث اختلفا إلى المدارس هناك يتلقيان العلم على أيدي أساتذة البلاغة المشهورين . غير أن أوڤيد رأى بعد حين أن مواهبه تأبي هذا اللون من التعليم الذي ينتهي إلى وظيفة إدارية أو سياسية ، فنبا عنه ذوقه ولفظته مشاعره ، وأحس بمجافاته لفطرته الشعرية وميوله الفنية التي تدفعه دفعاً إلى الانغمار في عالم الشعر. وإذ أحس أوڤيد في قرارة نفسه أنه لم يولد إلاّ ليكون شاعراً ، وأن الشعر يتدفق من بين شفتيه تدفق الماء من الينبوع ، عزف عن دراساته الجامدة تلك ، واهتم بأن يلتقي رجال الأدب في روما وأن يختلف إليهم ويتصل بهم ، ولم يلبث أن صار مرموقاً بين خلان على حظ من الدعابة والمرح ، يغشى معهم مجالس الأدب والفن ، واللهو والمتعة .

وتولى أوڤيد القضاء حينا ثم توفي والده مورثاً إياه ثروة استطاع بفضلها أن يتحرر من ربقة الوظيفة التي طالما ضاق بها وأن ينطلق في الميدان الذي يهواه مخلّفاً للإنسانية مجموعة من الأعمال الشعرية اتسمت بالأصالة والجزالة ، واحتفظت برونقها على مر العصور .

ومما نال من مشاعره وأدمى نفسه نفي الأمبراطور أوغسطس له إلى مدينة توميس على البحر الأسود وذلك على إثر ظهور كتابه «فن الهوى» مدعياً أنه دعوة لا أخلاقية ، بينا ينسب شاعرنا هذا النفي إلى إذاعته سراً من الأسرار لا لجريمة من الجرائم . ويشيع البعض أن النفي كان عقاباً على مغامرة طائشة لأوڤيد مع الأميرة چوليا ابنة الامبراطور ، وأياً كان السبب فلقد ظل الشاعر في منفاه إلى أن وافاه أجله المحتوم .

(١) ويشمل القرون الثلاثة الأخيرة .



وكان عهد الامبراطور أوغسطس عهد انتقال بين توزيع السلطات في النظام الجمهوري ونشأة الدولة العسكرية التي لم يقدر لها أن تعيش مستقرة خلال عهود الإمبراطورية الرومانية ، كما تميز هذا العهد بروح التفاؤل العام فيما كانت له صلة باستقرار النظم السياسية في الداخل ، والزهو بانتشار الحضارة الرومانية في أنحاء العالم المعروف آنذاك . وكان لا بد أن يساير هذا الشعور بالاطمئنان جو من التفتح والانطلاق والمرح ، وتنفيذ المشروعات المعمارية الكبرى ، وتنمية الفنون والآداب ، لا على يد الامبراطور فحسب ، بل كذلك على أيدي طبقة من رعاة الأدب الأثرياء الذين عاد عليهم الاستقرار الاقتصادي والسياسي بالفائدة . ولقد جاء تمجيد الثقافة في ذلك العصر محاكاة لما وصلت إليه الحضارة اليونانية القديمة من رقي وازدهار ، وأصبحت عبارة « الثقافة الرفيعة »[1] تعني كل ما يتميز به مجتمع اطّرح الطابع العسكري والانغمار في السياسة ليلتفت إلى تهذيب النفس والتأمل في شتى نواحي المعرفة ، والظمأ إلى الاستمتاع بحضارة تحقق سعادة عاجلة في هذه الدنيا . ولم تكن تلك الميول عند الطبقة الحاكمة غير مجرد أحلام تتحقق حيناً في حلبة الألعاب حيث كان الامبراطور يأمر بتقديم مشاهد فيها إسراف وغلو ، أو في وليمة يقيمها ثري على مدى أيام تجمع كل ما يبهج النفس ويسر العين ، أو في ملحمة شعرية تعيد إلى الأذهان مجد ملاحم الإغريق ولكنها تتناول موضوعاً يهم الرومانيين جميعاً ويمت بصلة إلى حضارتهم الفريدة كما فعل ڤرچيل في « إنيادته » . غير أن المجتمع الروماني مع زهوه في ذلك الحين بخطبائه من أمثال شيشرون ، وشعرائه من أمثال ڤرچيل وهوارس وأوڤيد ، وبرعاة الفنون من أمثال ميسيناس ، وبقادته الشبان الملهمين من أمثال ماركلّوس ، كان يعاني من تسرب الاستبداد إلى نظمه ومن استهتار أباطرته وتألههم ، ومن تزايد الفقراء واللاجئين من أسري الحرب والأرقاء والشعوب البربرية المهزومة ، ومن صغار الفلاحين النازحين من القرى المجاورة بحثاً عن أرزاقهم

---

(١) Cultus

في روما بغير أمل . وهكذا وقع المجتمع الروماني في تناقض بين العدالة والاستبداد والديمقراطية والطغيان ، وأمست « الثقافة الرفيعة » بمثابة لحن شجي يرقص له مجتمع الملذات وهو على حافة بركان . وقد عكس الشاعر هوارس هذه الصورة في قصيدة مشهورة له يقول فيها :

« وقبل أن نفرغ من حديثنا
سيكون الزمن ، ذلك الغادر
قد ولّى هاربا
فاقبض إذن على يومك [1]
ولا تثق مثقال ذرة في غدك »

وظهرت في عهد أوغسطس حركة جياشة تهدف إلى تغيير مسار الحضارة وإحياء مُثل الماضي وأخلاقياته وتحويل الشعب الروماني إلى مزارعين جادين متواضعين وجنود بواسل وساسة مثاليين . كما اتجهت هذه الحركة إلى الحياة الخاصة للأفراد محاولة إعادة معايير الأجداد الغابرة وعقائدهم ، والرجوع إلى نماذج العصور الماضية في الفن واللغة والأدب . وكان الامبراطور أوغسطس على رأس هذه الحركة يغذّيها ويباركها ، غير أن أوفيد لم ينشط لتأييد الاتجاه الذي تبناه الامبراطور بل اندفع مؤيداً حركة الانطلاق والتفتح .

---

(١) Carpe diem



وكتاب « فن الهوى » يجمع بين دفتيه ثلاثة كتب أنشأها المؤلف في العامين الثاني والأول قبل الميلاد ، وكان قد بلغ الأربعين أوزاد عليها قليلاً . فليس غريباً إذن أن تكون نظرته للحب غيرها حين كان في العشرينات .

فما من شك في أن المؤلف كان ذا خبرة واسعة في فنون الهوى تتفق ورجل في الأربعين اكتملت له رجولته ، يحيا في بحبوحة ، موزعاً زهرة عمره بالقسطاس بين المتعة العاطفية والحسّية ، ولا بد أن يكون قد تدرج في أحاسيسه العاطفية شأنه شأن الشباب ، ولم يتجمد عند حدود الحب المثالي أو الحب المندفع الأعمى اللذين يستهدف لهما ابن العشرين ، بل كانت نظرته إلى الحب حينذاك قد نضجت مع دخوله طور الرجولة فوقف في النهاية على قمة تجاربه واثقاً ممسكاً بزمام تلك العاطفة علماً بخباياها وأسرارها ، فإذا أوڤيد يسوق الحب على أنه لعبة من الألعاب أو تسلية يتسلى بها ، بل وجعل لها أصولاً وقواعد إذ غدا الحب في رؤياه طرفة من طرف الحياة ومتعة من متعها . لهذا كان فيما يتحدث به إلى الناس عن الحب يسيراً كل اليسر ، لا يجنح إلى التعقيد ولم يلتزم مساق الحب في التراجيديات الإغريقية التي يتسلط القَدَر على المشاركين فيها ، كما لم يكن المساق كذلك على نمط رومانتيكيات القرن التاسع عشر التي انحدرت عن « الحب الرفيع » في العصور الوسطى ، يستشهد المرء في سبيله ، وتسيل عبراته ويكاد يصاب بالخبل والهوس . وكذلك لم يكن الحب لديه على نسق الحب الصوفي الذي يدلّه فيه المرء ويولّه فينفصل عن العالم بجسده ولا يشارك فيه إلا بروحه مشاركة لا ينال جسمه فيها متعة . لم يكن الحب في نظر أوڤيد شيئاً من هذا كله بل كان تلك المتعة وذلك اللهو اللذين أصّل لهما أوڤيد بأصول وقواعد . وإذ كانت تلك نظرة أوڤيد ، فمن أجل هذا جاء عرضه لنظرته عرضاً يتسم بالسخرية ينال فيها من يشاء ، يستوي في ذلك أن يكون من نال منهم آلهة أو بشرا ، ورأى أن يقدم إلى شباب جيله والأجيال التالية حصيلة خبراته أستاذاً متمكناً ، مغلّفاً هذا كله بغلاف من خفة الظل والذكاء ، مازجاً بينه وبين الأساطير التاريخية وثقافة عصره التي كان علماً بها وقديراً على سردها والإفادة منها .

ولا أدل على ذلك من استهلاله الرشيق الموشى بالدعابة الذكية وبالثقة بالنفس حين يشرح قدرته على أداء مهمة آلى على نفسه أن يبدعها خدمة للهوى وأهله ، فيقول إنه لن يدّعي كذباً بأنه تلقى الإلهام بهذا العمل الأدبي عن الإله أپوللوأوغيره من ربات الفنون ، وإنما ينبئنا بأن ڤينوس أم إيروس (كيوپيد) قد اختارته شاعراً ليكون وصياً وأستاذاً خاصاً لابنها (١ ـ ٧) بعد ما عانى هونفسه من جرح سهام الحب فيما سبق ، وأن الفرصة قد واتته ليثأرمن الصبي الصغير الذي عذّبه الحب فيما مضى (١ ـ ٢٣ / ٢٤) . ولسوف يكون انتقامه بحرمان كيوپيد من أن يخط قدر العاشقين بسهمه ويعيد العاشق سيد نفسه ومالك قدره ومصيره في لعبة الحب . ويشير أوڤيد بهذا إلى أنه ينوي أن يستبدل بالعاطفة الغريرة المندفعة في حمق أهوج نوعاً آخر من الإيقاعات السارة الشجية التي لا يحسنها إلا كل ذي تجربة واعية .

و« فن الهوى » وإن كان مستقى إلى حد كبير من إليجياته [1] السابقة ، إلا أنه يخالفها في قسمات كثيرة ، فبينا نجد في كتابه « الغزليات » أن الشاعر قد اصطنع العاطفة اصطناعاً لخدمة القوالب الشعرية نراه في « فن الهوى » يروي قصص أفراد ويضيف إليها تعليقه الشارح ، فهويصورمواقف نمطية ويشرح للمتلقى كيف يتصرف إزاءها ، ويتنبأ بما قد يكون لدى المرأة من انعكاس لتصرفات الرجل ، ويوازن بين الفرص والمخاطروبين المزايا والمثالب ، ويوصي المحب الذكي باتباع بعض الحيل والمناورات ، كما يحذره من غيرها ضارباً أمثلة بحكايات من الأساطير يسردها في براعة وإبداع ، « ففن الهوى » يعد أكثر مؤلفات أوڤيد وضوحاً في هذا المجال . وإذ كان المؤلف يسبغ على نفسه مقوّمات الأستاذية ، يظل طوال الوقت خلال مؤلفه صافي الذهن يحول دون أن تطمس سحب العاطفة عقله ، فالعاشق المثالي ، كما يراه أوڤيد ، ليس بالصبي الحالم الخيالي ولا هو بالذي يسمح لنفسه أن تفقد ذاتيتها في غياهب العاطفة .

وينقسم « فن الهوى » كما سبق أن ذكرنا إلى ثلاثة كتب ، يشرح في أولها كيف يجدّ طالب الهوى ساعياً ليستولي على قلب خليلته ، وفي الثاني يعلمه كيف يحتفظ بحبها إلى أطول أمد ممكن ،

---

(١) الشعر الإليجي هو نمط من الشعر شاع استعماله في الأدبين اليوناني والروماني ومعناه قصيدة غنائية يلي فيها كل بيت من الأبيات الخماسية التفعيلات بيت من الأبيات السداسية التفعيلات من الوزن الدكتيلي . وما أكثر استعمال هذا النمط الشعري اليوناني الأصل في الشعر الروماني كما في شعر كاتلووس وتيبوللوس وأوڤيد .

وفي الكتاب الثالث يتوجه إلى المرأة بنصائحه فيعلمها كيف توقع الرجل في حبائلها وكيف تحتفظ به تحت أقدامها أطول مدة .

يبدأ أوفيد عرضه ملخصاً برنامجه : فالكتاب الأول يعلّم مريده كيف يسعى ليحظى بقلب معشوقته في ميادين الصيد المواتية مبصّراً إياه بأن حبه المنشود لن يهبط عليه من السماء دون جهد ، وعليه أن يعرف كيف يتجول منقباً في أنحاء روما التي يمكن أن تمده بنساء من مختلف الأنواع .

ولقد وجد في المسرح (الملعب) مكاناً مثالياً يسعى فيه إلى ضالته مستشهداً في ذلك بحكاية رومولوس مؤسس روما الذي كان قد خطّط لاختطاف النساء « السابينات » في مسرحه البدائي . وحين يصل أوفيد في عرضه إلى هذا ينطلق سارداً أحداث الأسطورة مبدعاً في قصّها على صورة تستدر الرثاء وتثير السخرية بينما يعزف على آلته في يسر تام ، وبلمسات رشيقة يطلق ألحاناً مرحة جليـة .

ويجد أوفيد كذلك في الملعب مكاناً للصيد استغل فيه إليجيته عن سباق المركبات الحربية التي جاءت في كتابه « الغزليات » فنقل منها سطوراً . وفي أكثر من موضع من كتابه « فن الهوى » يؤيد أوفيد آراءه بسرد مزيد من القصص وكأنه في ذلك يهيئ لمؤلفيه التاليين وهما « مسخ الكائنات »[١] و« تقويم الأعياد الرومانية » .[٢]

والكتاب الثاني الذي يتضمن الحفاظ على المحبوبة نراه أقل إثارة من الكتاب الأول ، وإن كان أرق منه وأشد اتساماً بالذاتية . ففيه يوصي الشاعر مريده بألاّ يحرص على المتعة العابرة حرصه على أن تمتد الصلة الغرامية زمناً طويلاً . إنه ينصحه بالعناية عند اختيار الشريكة ويحذره من الانزلاق في تهور إلى حب فتاة يلقاها عرضاً في وليمة ، فما أكثر ما يزيف النبيذ والنور الخافت الحكم على صفات المرأة وسماتها .

---

(١) Metamorphoseon

(٢) Fasti

وإذا أنعمنا النظر فيما أسدى من نصائح في كتابه الثاني نجدها في جوهرها تحث على الاتزان والتواضع والمثابرة ، ولكنه يخفي وراء هذا الستارحرباً ، إذ يعلن صراحة أن « الحبُّ حربٌ » ، مغلّفاً قصده برقة تبدو طبيعية تلقائية بينا هي تضمر دهاء وسخرية لاذعة .

وفي الكتاب الثالث يكفّ أوڤيد عن توجيه أترابه من الرجال ملتفتاً إلى النساء يسدي إليهن النصح ، وهو في هذا الكتاب يناقض أسلوبه في الكتابين السابقين دامغاً الرجال بالعبث مؤيداً حجته بأساطير تكشف قدر الرجال وتمجد وفاء النساء في براعة مذهلة . ولا يخفي ما في هذا من خبث... إذ أن النهاية ستظل كما أرادها تحقيقاً لأهدافه الواقعية التي ينشدها من وراء مؤلفه ، فلا يهم من البادئ باستخدام الحيلة . وما من أذى ينال أحد الطرفين في لعبة الحب طالما أجاد اللاعبان أداءها ، فكلاهما سيظفر بنصيبه من المتعة المتبادلة .

« وفن الهوى » قصيدة شعرية تعليمية على الوزن الإليجي لم تجاف نسق الشعر في عصرها حيث كانت القصائد التعليمية الإرشادية هي بدعة العصر ، وكان للشاعر أن يضمّن النصح شعره التعليمي في أي موضوع يشاء. فإميليوس ماسر ـ صديق أوڤيد ـ قد نظم شعراً سداسي التفعيلات في سموم الأفاعي والعقاقير الطبية ، بينما نجد الشعراء الآخرين يضمّنون شعرهم نصائح في آداب اللياقة وفي أنماط الألعاب والرياضات البدنية المختلفة أو الاحتفاء بالزائرين في المنازل أو تنظيم ولائم العشاء . ولقد جارى أوڤيد في « فن الهوى » معاصريه من الشعراء فتناول فيه الحب على أنه نوع من أنواع الرياضة أو اللعب والتسلية الاجتماعية .[1]

والحب وإن كان لا يسهل إخضاعه للجدل العقلي إلا أن شعر الغزل الجنسي في روما ، كان يناقش منذ البداية على أنه قضية من القضايا التي تلقن ، حتى أن مجموعة من الإليجيات التي لا يربط بينها رابط قد نظمت لتمثل كل الوجوه والنواحي الرئيسية للعاطفة في أمثل صورها وأكثرها إمتاعاً للنفس . وبهذا المنحى يبز أوڤيد معاصريه من الشعراء الذاتيين مثل تيبوللوس وبروبير تيوس الذين كانا لا يعكسان غير أحاسيسهما الشخصية ، وهكذا كان أوڤيد في صراحته المحيرّة وتهكمه اللاذع أبرع منهما فطنة فيما يتصل بأنانيته .

---

(١) ألف أوڤيد بعد نفيه قصيدة سلوان الحب Remedia Amoris يستحث الناس فيها على اطراح الهوى والانصراف إلى ما هو مفيد كالفلاحة والرماية والصيد والأسفار.

٤

ويتميز أسلوب أوڤيد في هذا الكتاب بخصائص عامة ، أهمها وضوح الرؤية والموضوعية . والذكاء ، وخفة الظل ، والسخرية ، والثقافة الواسعة ، وحبه للدعابة وكراهيته للحرب والقسوة . وافتتانه بالحياة والمتعة ، وهيامه بالمرأة مدركاً ما فيها من مفاتن ناعياً نواقصها . كما يتميز بقدرته على الانتقال من موضوع إلى آخر في لطف ومهارة بحيث لا يكاد يلحظه القارئ .

ومن قبيل خفة ظله افتتاحية كتابه الأول حين يعبر عن كيوپيد « بالصبي الغض رب الهوى » ، ويدعى أن ڤينوس أم كيوپيد قد اصطفته وصيّاً على ابنها ، ذلك الصبي الإله الذي طالما جرح قلبه بسهامه فيما مضى ، وأنه قد آن الأوان ليثأر لنفسه منه .

ثم ينتقل ليشبّه الحب بالحرب ، وأن مركبته لا تعدو حدود هذا الميدان الممتع ، ويظل يردّد هذه الدعابات خلال كتابه الأول ، ويعود إلى تردادها في كتابيه الثاني والثالث . ففي كتابه الثاني يقول في تصديره :

« غنّ يا فتى « النصر لنا »
وردّد « النصر لنا »
فقد وقعت من كنت أطاردها
فريسة في شراكي .
وليتوّج بإكليل الغارجبيني
من أسعده العشق ،
وليرفعني فوق مرتبة هسيود شاعر أسكرا
وهوميروس الضرير...... الخ .

وبين الحين والحين يردد مثل هذه الدعابات حتى يصل إلى كتابه الثالث فيصدّره بقوله :

« ها أنذا قد منحتُ الإغريق سلاحاً
كي ينازلوا به الأمازونات
وقد آن لي يا پنثسيليا
أن أمدّك بالسلاح لمقاتلة الإغريق
هيّا خوضي ومحارباتك الباسلات
معركة متكافئة . . . . .

ولا تكاد تمر صفحات من الكتاب حتى يعود إلى مداعباته في رقة بالغة ، وإتقان مبدع .

ومما ينصف أوفيد فيما انتهجه في « فن الهوى » بدؤه الكتاب الأول بما يوحي أنه سوف يترك جانباً الحرائر المُحْصنات وأنه سيقصر نصائحه على الإيقاع باللاهيات فيقول :

« وأنتن أيتها الحرائر المُحْصنات
ذوات العصابة الدقيقة والتّنورة المرسلة
التي تلف ثناياها القدمين
أعزبن عني
فسأغنّي للهوى المأمون
سأغنّي للهوى المستور
لا حرج عليه
ولهذا لن تجدنّ في أشعاري ما يُستهجن . . . »

ويؤيد هذا إلى حد ما سخريته اللاذعة بالأزواج الذين يطلقون الحبل على الغارب للزوجات اللاهيات يسترسلن كيف شئن ، فهو يغلّف هذا المعنى في أسلوب قد يخفي على الناظر في الكتاب لأول وهلة فيحمله على غير معناه ، ولكنه لو تأمله في عمق يجد فيه ما نشير إليه من تلك السخرية بالزوج من هذا الصنف ، فهو يقول :

وارع زوج محبوبتك رعاية نُظّار الضياع
يبالغون في الاهتمام بما وُكل إليهم
ليستنزفوا منها مزيدا

* * * *

« ارفع كأسك وقل
في صحتك يا سيدتي
وفي صحة من ينعم إلى جوارك في الفراش
بينا يردد قلبك
« فليمض الزوج إلى الجحيم سريعاً »

ويمضي أوفيد ، مرة أخرى ، في مداعبة الأزواج حين يطلب من المرأة اللاهية أن تلقي في روع حبيبها الخوف والغيرة من زوجها ، ثم يستطرد في نصائحه للزوجة فيقول :

« أوشكت أن أغفل وصف الأساليب
التي تخدعين بها زوجاً ماكراً أوحارساً يقظاً
فمن الخير أن تخشى الزوجة زوجها
ومن المألوف أن يحرسها أدق حراسة
ولكن لا يسوغ له أن يتجسس ... الخ »

وعلى الرغم مما كان يجول بخلد أوفيد من شكوك في القيم الأخلاقية خلال تأليفه هذا الكتاب إلا أنه عاود النظر فيها من جديد ، إذ يعود فيستنكر نصائحه على التوالي قائلا :

« فطريق الخداع تحت ستار الصداقة مأمون مطروق
غير أنه طريق آثم » .

وتذهب السخرية بأوفيد إلى أبعد الحدود ، فآلهة زمانه لم تسلم من لسانه ، إذ يقول في الكتاب الأول ساخراً من أخلاق مواطنيه :

« فإله الخمر
يجلو ما يخبئ معاقره
ليبدو الثمل صريحاً
صراحة ما أندرها في هذا العصر »

وهو يستخدم أحياناً عبارات جادة معروفة لبعض معاصريه من الشعراء في مواقع ساخرة . من ذلك عبارة فرجيل المشهورة :

« هذا هو العناء ، وهذا هو العمل الجاد »

فقد ختم مجموعة من الأبيات الساخرة عن تقديم الهدايا للمعشوقة بقوله :

« بلا هدايا مسبقة
أظفر بحب معشوقتك
هذا هو العناء وهذا هو العمل الجاد »

أما السخرية من الآلهة فهي شائعة في كل أجزاء الكتاب . إذ يقول في الكتاب الأول مثلاً :

« إن چوپيتر في عليائه
يضحك ملء شدقيه
على قَسَم العشاق كذبا
ويأمر رياح أيولوس أن تذروه أدراجها .
فچوپيتر نفسه
ألف أن يقسم لچونو بنهر ستيكس زيفا
فما أحراه أن يناصر من هُم على شاكلته
يتبعون هديه
حقاً أن للآلهة نفعاً عظيماً » .

ويورد في الكتاب الثاني قصة مضحكة تزري بأقدار الآلهة جميعاً حين وقعوا على ڤينوس متلبسة بجريمة الزنا .

ويستحيل علينا أن نتابع سخريات أوڤيد وخفة ظله،وإلا لنقلنا أكثر الكتاب إلى المقدمة .

ويبدي أوڤيد في هذا الكتاب تمسكه بقيم تنطوي على المروءة ، فنراه يعيب أولئك الذين يدنسون أسرار ڤينوس ويتباهون بمغامراتهم الغرامية الناجحة ، وأولئك الذين يغتصبون الفتيات لا لشيئ سوى تلطيخهن بالعار والمفترين على السيدات بغير حق .

« ما كان أشد شعور الحياء عند البسطاء
أما اليوم فنختال بمغامراتنا الليلية
وان الناس لعلى أهبة أن يدفعوا أبهظ ثمن
لا لشيئ إلا لأن يزهوا بمآثمهم

هناك قوم يختلقون على النساء قصصا
ولو أن ذلك كان حقا لأنكروه في إصرار »

ويعكس الكتاب ما في نفس أوڤيد من أنه رجل سلام يكره الحرب والعنف رغم تملقه الإمبراطور في أبيات معدودة ، ولعلها أضعف ما جاء فيه من شعر وتصوير ، وهو ما يؤكد أنه لا يؤمن بما يقول .

ومن قبيل رفضه لأعمال القسوة والوحشية التي كان يتلذذ الرومانيون بمشاهداتها في المصارعة والمجالدة في « الفُوَرم » يقول أوڤيد ساخراً حزيناً . .

هذي حيل من غزل العصر
يبسطها سخيّاً جو الملعب
و« الفُورم » أيضاً يمنحك الفرصة كاملة
رغم رمال الأرض المبتلة حزناً
سُخطا
حيث تُراق دماء
لتسرّي عن الجمع

ويردّد ذلك أيضاً في مكان آخر حيث يقول :

« ولتحرز في باطنك
ما يسمو فوق ظاهرك
وخير ما يستميل الفؤاد ،
تدليل في فطنة ،

فقول خشن لا يورث غير الكراهية
والحرب الضروس »

أما اهتمامه بالثقافة فيتجلى في ظاهرتين ، أولاهما حث الشباب على أن ينهلوا منها ، وثانيتهما في أسلوبه هو نفسه وسرده للأساطير بأسلوب جذاب ممتع .

ومن قبيل حثه الشباب على التمسك بالثقافة ما جاء في الكتاب الثاني من نصيحته للشباب بالابتعاد عن الخرافات والسحر واستعمال العقاقير والأعشاب ، فيقول :

. . . .
«كن على ثقة بأنك لن تحتفظ بمحبوبتك
إن لم تضف هبة العقل إلى ميزات جسدك .
. . . .
. . . .

إذن فابدع لنفسك روحاً مشرقة صِنْواً لجمالك
فهي وحدها تبقى بجوارك
حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة
واحرص على إنماء عقلك بالفنون والآداب
ولا تجعلها في مرتبة أدنى
ولا يفوتنّك علـم اللغتين على الوجه الأكمل » .

٥

أما حرصه على سرد الأساطير ، وصياغته لها وربطه للواقع بالأسطورة فهو في الحق سمة هذا الكتاب وميزته الكبرى ، تنتظمه من أوله حتى منتهاه ، تأسر القارئ وتطوف به على أجنحة رقيقة محلّقة ، تودع نفسه سر الإبداع الشعري لهذا الفنان القدير .

هذا إلى ما كان لأوفيد من معرفة عميقة بكل خفايا حياة عصره ، حتى وصل إلى دقائق أسرار الزينة لدي الرجل والمرأة على السواء مما يجعل من شعره لوحة متكاملة ، استلهم فيها ذلك الزمان ، نطالعها فنطالع فيها عصراً بأكمله .

إن خبرة أوفيد بما في طبع البشر لا سيما الإناث ، وإلمامه بالحياة الاجتماعية في روما ، هذا إلى تشبيهاته المبسطة المعجزة اللافتة التي جاءت على صورة مدروسة ، تلك الصور المنتزعة من عالم الحيوان والحياة الأخرى المحيطة به من صيد وفلاحة وملاحة ، وانتفاعه بالقصص المأثور الذي لم يجد مندوحه من تضمينه كتابه حرصاً منه على ألا يفوته من ذلك التراث الرائع شيئ ، هذا كله يتآلف مع عناصر أخرى كالدعابة والسخرية وسرعة البديهة ، ليضفي على قصيدته « فن الهوى » في النهاية جاذبية لا تجاري ، جعلتها جديرة بأن تكون أحـــد الأعمال الفنية المنبثقة من مجتمع روما المتألق المستهتر عهد الامبراطور أوغسطس ، فلا عجب إذن أن تكون قد أثارت غضب الامبراطور .

ومن العسير علينا تصديق أوفيد حين يدعي أنه لم يقصد النيل من القيم الأخلاقية في روما ، فلا شك أنه كان يعلم تمام العلم أن ثمة فوارق واضحة في مجتمعه كانت تميز بين الحرائر المُحْصنات[١] والعذارى[٢] ــ واللاهيات[٣] .

---

(١) Matronac — المعنى الحرفي هوربة الأسرة
(٢) Virgines
(٣) Libertinac

وكان أوفيد يدعي أن « عظاته » موجهة إلى الفريق الأخير من النساء دون غيره ، بيد أن ما يصر على أن يسوقه من حجج ليؤيد بها زعمه يشي بغير ما ادّعى .

ويقيناً أن من يرى أوفيد شاعراً يؤمن بأن إشباع الحواس هو الخير الأسمى ، مخطئ في نظرته إليه ، فأوفيد يأنف من أن تكون العشيقة بغيًا (الكتاب الثاني ٦٨٥ وما بعده) ، ويصرّ على أن تكون امرأة مثقفة [١] أو فتاة عالمة [٢] . ويتجلى من خلال كتابه أن تثقيف العقل من الأهداف التي كانت تصبو إليها السيدات اللاهيات ، يبذلن في سبيلها جهوداً مضنية ، وإن كانت قلة من بينهن يصلن إلى ما يتقن إليه . وآية ذلك أن أوفيد كان يطالب المرأة بأن تحذق الفنون واللغات ، وأن تطالع باليونانية أشعار كاليماخوس وفيليتاس وأناكريون وميناندر وسافو ، هذا إلى الأشعار اللاتينية المعاصرة . ويمضي أوفيد في مطالبه السامية ملزماً المرأة أن تتأنق وتتألق ، وأن تجيد السير والضحك والرقص والغناء والعزف والإلقاء إذ كان هو نفسه يعتز بما عُرف عنه من رهافة الحس ، فلقد بلغ من الذوق السليم الذروة ، لذا لم يكن إرضاؤه بالأمر اليسير ، أو لعل هذا كان على الأقل مما يهدف إلى إلقائه في روع قارئيه . لقد كانت الثقافة بالنسبة لأوفيد هي شعار العصر الذي يحياه ، وكان أوفيد إلى ذلك يعد نفسه مجدوداً إذ عاصر تلك الفترة .

---

(١) Culta

(٢) Docta Puella

٦

ليس بغريب إذن أن يكون أوفيد قد انتزع إعجاب الكثرة من علماء العصور الوسطى وتقديرهم ، لاهتمامهم بالتراث اليوناني واللاتيني . فكان القديس إزيدور الإشبيلي (٥٧٠ ـ ٦٣٦ م تقريباً) (صاحب كتاب « مشاهير الرجال » والذي يعد من أهم المراجع في دراسة تاريخ القرون الوسطى) يحذر من مطالعة شعر أوفيد لما فيه من مجون ، ولكنه مع ذلك لم يستطع مقاومة تيار الولع به في عصره ، بل لقد ذكره هو نفسه في كتبه أكثر من عشرين مرة مقتبساً من شعره . واتخذ القديس العلامة فولجينتيوس[1] (٤٦٨ ـ ٥٣٣ م) من كتابي « مسخ الكائنات » و« فن الهوى » أساساً للقصص الرمزية الأخلاقية التي دوّنها في كتابه « الأساطير » . أما العلماء الذين أحاطوا بالامبراطور شارلماني فكانوا يتدربون على كتابة أشعار لاتينية تحاكي شعر أوفيد . بل لقد أصبح أوفيد لهم مثلاً يحتذى في نظم الشعر وفي اختيار موضوعات الشعر نفسها ، وكان نتيجة ذلك أن وجد بعدُ ما يسمى « بالعصر الأوفيدي »[2]

وكان الشعراء الجوّالون « التروبادور » في جنوب فرنسا و« المينيزنجر » في ألمانيا يتغنون في موضوعات يغلب على الظن أنها كانت مقتبسة من موضوعات أوفيد، كما عدّه الطلبة الجوالة « الجوليارد » الذين نظموا الأناشيد البورانية[3] الشهيرة أستاذهم وأحب الشعراء إلى نفوسهم .

ولقد أشار فنسان دي بوفيه[4] (١١٩٠ ـ ١٢٦٤ تقريبا) إلى أوفيد أكثر مما أشار إلى أي شاعر آخر في تاريخ الأدب كله واقتبس كثيراً من شعره ، غير أنه لم يكن دقيقاً في اقتباسه مما يدل على أنه كان يعتمد على ذاكرته في هذا الاقتباس في موسوعته المشهورة « المرآة الكبرى »[5] التي ضمت

---

(١) Fulgentius
(٢) Aetas Ovidiana
(٣) Carmina Burana
(٤) Vincent De Beavais
(٥) Speculum Maius

أغلب معارف عصره في أجزاء ثلاثة . كذلك عدّه دانتي نموذجاً للبلاغة والأسلوب الرصين ، وحفظ الشاعر الإنجليزي تشوصر الكثير من « فن الهوى » ومن « مسخ الكائنات » كما ترجم منها أجزاء إلى اللغة الانجليزية الوسطى (أي الانجليزية الشائعة في العصور الوسطى) .

أما أثر أوفيد في نزعة « الحب الرفيع » في شعر العصور الوسطى في أوروبا الذي كان يشبه الهوى العذري لدى العرب فيبدو واضحاً ، كما يبدو أن أصول المغازلة التي كان شعراء العصور الوسطى يوصون بها ، كانت شديدة القرب من تلك الأصول التي ذكرها أوفيد ساخراً منها في كتابه « فن الهوى » . وصحيح أن نساء أوفيد ينتمين إلى نهج من الإباحية في مسلكهن الأخلاقي ، وأن نساء الحب الرفيع ينتمين إلى مجتمع أرستقراطي مغلق يدمغ أي انحراف عن جادة العفة ، إلا أن سبل اغرائهن مع التزام السرية التامة في المغازلة كانت أمراً شائعاً في أوساط شعراء الحب الرفيع ومشابهة لأساليب أوفيد ، الأمر الذي جعل بعض شراح الحب الرفيع في العصور الوسطى يعدّون هذا التقليد في الشعر استمراراً للتقليد الأوفيدي . وكما قال العلامة الإنجليزي ك. س. لويس [١] في كتابه « قصة الحب الرمزية » [٢] « ان شعر العصور الوسطى كان على نهج أوفيد وقد أسيء فهمه [٣] » ، إذ أخذوا دعاباته على محمل الجد .

وتفسير ذلك من الوجهة التاريخية في رأي الأستاذ لويس ، يرجع إلى أن نظرة المجتمعات المسيحية في أوروبا بعد سقوط الحضارات الوثنية الرومانية والبربرية الجرمانية ، لم تغير كثيراً من مفهوم الناس للحب ، فكان الزواج لا يزال رهن اعتبارات غير عاطفية تسيطر عليها عوامل المصلحة ، والتحالف بين الأسر ، والتيارات السياسية ، في حين انحصرت عاطفة الحب في نوعين : أولهما ديني تصوفي ينتظم الضراعات للعذراء مريم ، وثانيهما ما سمّي في لغة الشعراء الجرمان في العصور الوسطى « بخدمة السيدة » [٤] أي الخدمة العاطفية العذرية لزوجة السيد الإقطاعي الذي يعد حامياً عسكرياً للمنطقة التي بها قصره ، يعيش الشعراء القاطنون بها في حماه ، وكذلك الشعراء

(١) C. S. Lewis

(٢) The Allegory of Love.

(٣) Ovid Misunderstood

(٤) بالالمانية Frauendienst بالفرنسية Amour Courtois بالانجليزية Courtly Love

الجوالون من أمثال التروبادور في بروڤانس والتروڤير في شمال فرنسا . وهكذا فمن الطبيعي أن يتصف هذا الحب اليائس بكل خصائص المبالغة العاطفية التي تميز الحنين إلى المستحيل والبعيد عن متناول اليد ، وإن كان الوصال يقع أحيانا .

ولقد أجمع المؤرخون للقرون الوسطى على أن الحب الرفيع إنما هو نقل السخرية والهزل في « فن الهوى » إلى مجال الجدية .

وفي سنة ١١٦٠ ترجم الشاعر الفرنسي كريتيان دي تروا[١] « فن الهوى » إلى اللغة الفرنسية القديمة ، وإن كان النص قد اندثر الآن ، ولا نشك في أن تلك الترجمة قد أسفرت عن أزمة ضمير في نفوس الشعراء المسيحيين آنذاك ، مما دفعهم إلى محاولة تبريرها تبريراً يتفق والجو المسيحي السائد .

وفي أواخر القرن الثاني عشر دوّن الشاعر الفرنسي أندرياس كاپيلانوس[٢] كتاباً باللاتينية اسمه « كتب ثلاثة في الحب »[٣] . وضع فيه بطريقة منهجية كل القواعد والنصائح التي أوردها أوڤيد في كتابه ، ولكن بقصد تطبيقها على مواقف الحب الرفيع ، ورغم ذلك فقد ثار الرأي العام المتزمت ، واعتبر هذا التحوير امتداداً للإباحية التي وردت في « فن الهوى » .

وتتابعت محاولات بعد ذلك لنقل معاني الكتاب بأسلوب غير مباشر إلى قراء القرون الوسطى وبصورة لا تجرح العرف الأخلاقي ، من أهمها الملحمة الشعرية الرمزية المسماة « قصة الوردة »[٤] التي كتبها ولم يتمها جيوم دي لوريس[٥] في النصف الأول من القرن الثالث عشر على شكل حلم يراه الشاعر ، ينشد فيه عشق وردة جميلة في بستان منيع ، تساعده تارة على إدراكها وتمنعه من

---

(١) Chrétien de Troyes

(٢) Andreas Capellanus — وهذا هو الإسم اللاتيني الذي عُرف به أندريه راعي الكنيسة
André La Chapelain — كما كان يسميه معاصروه ولا نعرف له إسماً آخر.

(٣) De Amore Libri Tres

(٤) Le Roman de la Rose

(٥) Guillaume de Lorris

ذلك تارة أخرى صفات مجردة مجسدة ، مثل القول الرقيق أوالحسد أوالتضرع أوالعفة أوما إلى ذلك . وفي أواخر ذلك القرن كتب الشاعر چان دي مون [1] تكملة طويلة لهذه الملحمة ولكن بروح مختلفة هي روح السخرية ومهاجمة النساء وازدرائهن .

وتنبع أهمية هذه الملحمة من أنها ترجمة رمزية للمعاني التي وردت في « فن الهوى » بحيث ترضي ذوق قارئ أرستقراطي حساس يجذبه الولع بأوڤيد من ناحية ويشدّه حب التستر وإخفاء الفضائح من ناحية أخرى .

ومع ذلك كله ، فموجة انتشاركتاب أوڤيد لم تنحسر ، فاضطر رجال الكنيسة أن يرتضوا ما جاء فيه بعد أن أوّلوه ، فكتب أحد القسس كتاباً باللغة الفرنسية القديمة سمّاه « أوفيد معالجاً معالجة أخلاقية » [2] (١٣٠٠ م) حوّل فيه مواقف « فن الهوى » إلى مواقف دينية أخلاقية ، رمز فيه بالحبيب إلى الفضيلة والتقوى ، وبالمحبّ إلى الناسك المتعبد على غرار شعر التصوف لابن الفارض في الأدب العربي ، و « المثنوى » لجلال الدين الرومي في الأدب الفارسي .

---

(١) Jean De Meung

(٢) Ovide Moralisé



بهذه العجالة ... أردت أن أبين أهمية كتاب « فن الهوى » في التراث الأدبي العالمي ، وأن أقدم للقارئ محاولة يسيرة لتفسيره من وجهة نظر أراها .

وبعد ... فقد حرصت على تضمين الكتاب لوحات رسمها كبار الفنانين ، متأثرين بما جاء في الأساطير التي يرويها أوفيد في كتابه ويضمنها شعره .

وإني لأستميح قارئي عذراً ، في أني قد سمحت لنفسي أن أضع بين قوسين كلمات شارحة أحياناً ، حتى لا يضطر القارئ إلى الرجوع بين كل سطر وآخر للحواشي في نهاية الكتاب ، التي حرصت على أن أزوده بها معاونة له في التعرف على تفسير الأساطير والأعلام الواردة بالنص .

كما أستميحه عذراً أيضاً فيما جاوزت فيه النص فحورّت حيناً وقنّعت بعض العبارات بقناع من الحياء حيناً آخر ، ليتفق والذوق العربي . وكان هذا وذاك على قدرما وسعني الجهد الذي حاولت به ألا أخرج على النص أو أجانبه .

وقد رأيت أن أطّرح جزءاً يسيراً من الكتاب الثاني من البيت ٦٨٠ إلى البيت ٦٩٣ ، ومن البيت ٧٠٦ إلى البيت ٧٠٩ ، ومن البيت ٧٢٦ إلى البيت ٧٣٢ وجزءاً آخر من الكتاب الثالث من البيت ٩١ إلى البيت ٩٣ ، ومن البيت ٧٧٤ إلى البيت ٨٠٨ فيها ما يخدش الحياء .

واعتمدت في ترجمتي هذه على الترجمة الانجليزية الحرفية التي أرفقها ج. ه. موزلي عند تحقيقه لقصائد « فن الهوى » مع مجموعة أخرى من قصائد أوفيد القصيرة في سلسلة مكتبة لوب الكلاسيكية طبعة ١٩٦٢ . وقام الدكتور مجدي وهبه بمقابلة ترجمتي العربية على النص اللاتيني الوارد بالكتاب نفسه ، والذي يعتمد على مخطوطتين إحداهما مخطوطة ترجع إلى القرن التاسع الميلادي بمكتبة بودلي في أوكسفورد،وذلك بالنسبة للكتاب الأول فحسب . أما الثانية الموجودة بباريس فترجع إلى القرن العاشر الميلادي وتمثل الكتب الثلاثة .

ثروت عكاشه

٢٦ اكتوبر ١٩٧١



الكتاب
الأوّل



أنت يَا مَن غَابَ عَنك فَنّ الهَوى
إليك قصيدي فاقْرأ ،
تُمسي في الهوىٰ عَبقريًّا .
فبالحذق تشقُّ السّفنُ العبابَ سَريعةً ،
وَبهِ تطوي المركباتُ الأرضَ طيًّا .
وكذا الهوىٰ بالحذق يُسَاس .



أنت يا من غاب عنك فنُّ الهوى
إليك قصيدي فاقرأ ،
تُمسى في الهوى عبقرياً .
فبالحذق تَشقُّ السفنُ العبابَ سريعةً ،
وبه تطوى المركباتُ الأرضَ طيّا .
وكذا الهوى بالحذق يُساس
حذق أُوْتُوميدون قيادة المركبات وملكَ زمامَ العِنَان ،
وحذق تيفيس توجيه سفينة الأرجو في عُرْض الخِضَم[٣] .
أما عنّي ، فقد اصطفتني ڤينوس وصيّا
على الصبي الغضّ [كيوپيد] ربّ الهوى ،
وَنَصبتني أستاذاً لهذا الفن .
وإذا كان تيفيس للسفين ربّاناً ،
فأنا ربّانُ الهوى .
وإذ كان أوتوميدون للمركبات قائدا ،
فأنا قائد الهوى .

ما أشق ترويض ذياك الصّبي ،
الذي لا يفتأ يناوئني
مع أنه ما زال غِرّا .
وما أندرما يستسلم لي ، فأقوّمه
وأوجّهه كيفما أريد .
لقّن القنطورخيرون الطفل [أخيل] بن آياكوس
عزف القيثارة فأجاد ،
وَغَمَر الفنُ وجدانه الجامح بالسكينة .
ويُروي أن أخيل ،
ذاك البطل الذي بثّ الذعر
في قلب الخصم والصديق ،
كان يهاب معلّمه القنطورالعجوز ،
وكان يبسط طواعية لسوط خيرون
كفّيه اللتين صرعتا هكتور الجبار .
وكما كان خيرون لأخيل أستاذا ،
فأنا أستاذ ربّ الهوى .
وكلاهما ـ أخيل ورب الهوى ـ صبي شديدُ المِراس .
ولا غروفكلٌ منهما ابن إلهـة .
وكما يطأطئ الثورُ عنقه تحت وطأة النِّير
وكمَا يَلْقَمُ الجوادُ الأبيُّ العِنانَ
يلوكهُ في فمه على مضض ،
كذا ، سَأَرُوضُ ربّ الهوى ،
وإن أصاب صدري بسهام قوسه ،
أولوّح بشعلته مهددا من فوق رأسي .
فأنا قدير على الثأر لجرحي .
مهما أثخنتني الطعنات .



أخيل والقنطور خيرون : تصوير جداري من پومپی بإذن من المتحف القومي بناپولي

وما أنا بزاعمٍ
أن فنّي هذا هبةٌ منك يا فويبوس [أپوللو] ،
وأن مناغاة الطير في جو السماء
هي التي أوحت إليّ به ،
وما تجلّت لي كليو وأخواتها [ربّات الفن]
حين كنت أرعى أغنامي في واديك يا أسكرا[٢]
تَجْربتي مصدرُ إلهامي ،
فأنصتوا لشاعر عركته الحياة ،
ينبض بالصدق نشيدهُ .
ناشدتك يا ڤينوس ،
يا أمَّ ربِّ الهوى
العونَ على ما أنا مُقدمٌ عليه .
وأنتنّ أيتها الحرائر المحْصَنَات
ذوات العِصَابَة الدقيقة والتَنّوّرة المرسلة
التي تَلُفّ ثناياها القدمين[٣] ،
أُعْزُبْن عني ،
فسأغني للهوى المأمون ،
سأغني للهوى المستور
لا حَرَجَ عليه
ولهذا لن تَجِدنَّ في شعري ما يُستهجن .

* * * *



ديلاكروا : القنطور خيرون يعلم أخيل تصويب السهام .
مجموعة خاصة

أي مريدي ،
يا من تفد إلينا لأول مرة ،
لتخوض حربا جديدة تجهلها .
عليك أن تحدّد هدفاً لهواك .
وعليك أن تَظْفَرَ بالفتاة التي تستهوي فؤادك .
ثم عليك أن ترخي في عمر الحب طويلا .
ذي شِرْعتي ،
وذا ميداني لا تعدو مركبتي حدوده ،
وذا مرماي تنساق إليه عجلتي المنطلقة .

* * * *

ما دام العِنان لا يزال في يدك رخيّا ،
وما دمتَ لا تزالُ تجولُ بلا قيد ،
تختار من تقول لها عن رِضي :
« أنتِ وَحْدِك من تُشبع نهمي »
فلا ترقب أن تهبط عليك فجأة من خلل النسمات ،
بل طُف بعينيك حيث تقعان على كاعب تشبع أمانيك
فالصياد الماهر يعرف أين كِنَاسُ الوعل ،
وفي أي الوديان ينصب شراكه ليظفر بالخنزير البري :
فهو خبير بالغيضات والأجمات .
وان من يحيا مع السمك ، ويعرف أسرار الجدول ،
هو من يحذق استخدام الشِّص .



چوليورومانو : رقصة أبوللومع ربات الفن . بإذن من متحف بيتي بفلورنسا

وأنت يا من تهفو إلى نشوة عارمة موصولة لا تخبو ،
أدرس أين تطوّفُ باقات الفتيات ، وأي مكان يرتدن .
فلتهدأ بالاً .
لن أكلفك ــ بينا تسعى ــ شططا .
لن أدعوك لتنشر شراعك ضد الريح ،
ولن أشق عليك برحلة طويلة وعرة
كي تبلغ مُنَاك .

فليتحمّل پيرسيوس من العَنَت ما شاء
ليعود بأندروميدا سمراء الهند[4] ،
وكذا فليخطف پاريس الطروادي العاشق
محبوبته [هيلينا] من بين الإغريق ،
فروما عامرةٌ بجمال الغيد ،
حتى قيل بأن «كل جمال الدنيا ينبض في روما .»
أَنبِئْتَ عن كثافة غلال جارجارا[5] ،
وَفَيْضِ عناقيد مِيثِمْنَا ؟[6]
أَوَتعرف غزارة السمك في البحار ،
والطيور فوق أفنان الأشجار ،
ونجوم السماء التي لا تُحصى ؟
هكذا تزخر روما ـ مدينتك ـ بالغانيات الحسناوات .
ليسكنْ رُوعَك
فما زالت ڤينوس تنزل مدينة ابنها أينياس .[7]
أتأسرك السّنّ المبكرة الآخذة في الاكتمال ؟
إذن فإليك عذراء لحما ودما .
أم يجذبك الجمال الناضج في أوج تفتّحه ؟
إليك منهن لمُتعتك ألفا .
حاول ما شئت أن تؤثر إحداهن على الأخرى ،
ولسوف يذهب جهدك سدى .
أَوَتُراك تُؤثر من هي أكبر سنّا
وأرجح عقلا ورزانة ؟
صدّقني : إن صفوفهن لا يبلغها الحصر .

* * * * *



تتسيانو : بيرسيوس ينقذ أندروميدا . بإذن من مجموعة والاس

فلتتهاد هَوْنا
تحت رواق پومپيوس[٨] ، تغمرك ظلاله ،
حين تطّل الشمس من برج أسد هرقل الأشعث
تُلْهب وجَه الأرض .
أو تحت ذلك الرواق الذي شّيدته الأم صرحاً [٩]
يحتضن خيراتها وخيرات ابنها ،
ويُزْهي بكُسوته الرخامية .
ولا تنس أروقة ليڤيا [١٠] بنقوشها العريقة ، تحمل اسم مَنْ شيّدتها .
ولا تغضّ الطرف عن ذاك المكان
الذي جرؤت فيه بنات بيلوس على اغتيال أبناء عمومتهن ،
أو ذاك الركنَ الذي تربّص فيه أبوهن [داناوس] الجبار . ،
وسيفهُ في كفّه مُشْرعٌ[١١] .
وعِشْ أعياد أدونيس[١٢] الذي أنفقت ڤينوس حياتها تبكيه .
واسع في تلك المدينة
التي يمجّد فيها يهود سوريا[١٣] سبتَهم المقدس .
وأشهد المعبد الممفيسي للبقرة المزدانة بالثياب الكتّانيـة .
فكم من فتاة توحي إليها البقرة ،
بأن تأتي ما أتته هي مع چوپيتر من قبلُ .[١٤]
واعجبي ، حتى حُرُمات العدالة كانت مسارح للهوى !
فما أكثر ما أضرم الهوى شعلته في قاعاتها الغاصة الصاخبة .
وفي كَنَفِ معبد ڤينوس المرمري ،
حيث يتناثر رذاذ مياهِ الحورية الآپية ،[١٥]
ما أكثر ما ينصب كيوپيد شراكه للمحامي اللوذعي .
وهكذا يُمسي المكلَّف برعاية غيره ، عاجزا عن رعاية نفسه .
هناك يكتشف الخطيب المفوّه قصور بلاغته ،
ويضحى مطالبا بالدفاع في قضية جديدة

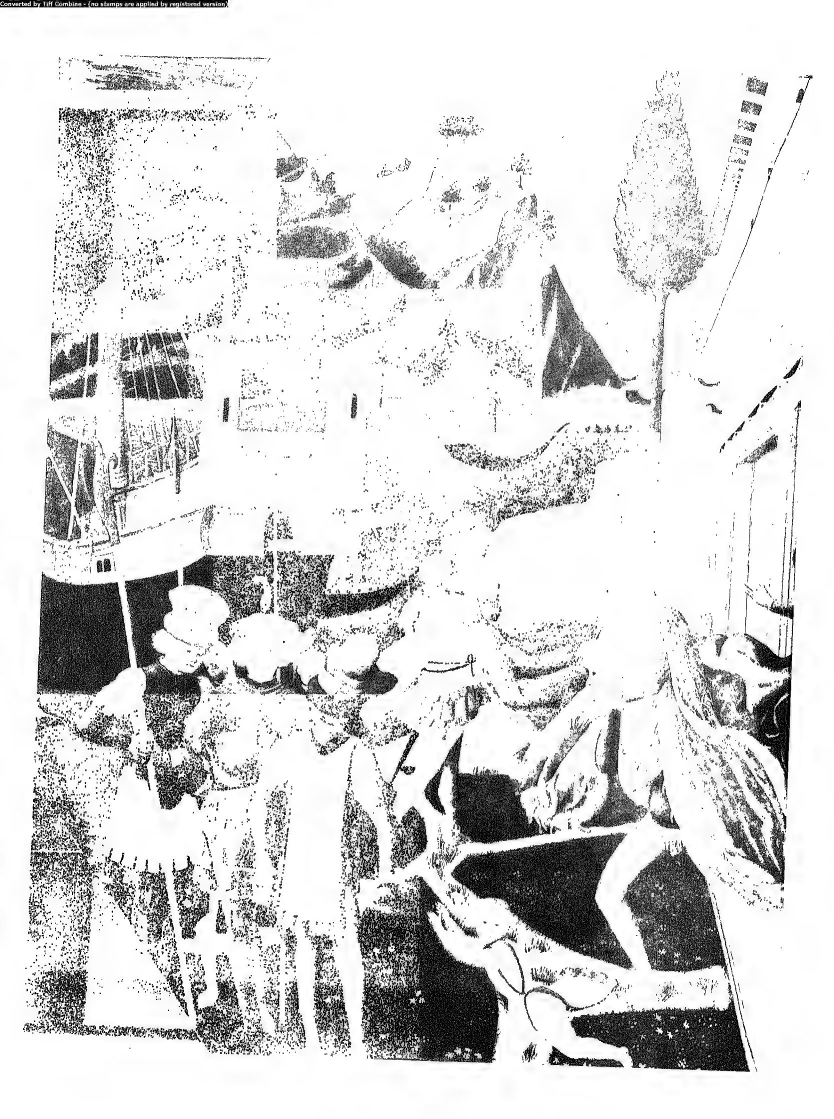
هي قضيته هو ،
بينا ڤينوس من معبدها القريب
تسخر ممن كان منذ قليل محاميا ،
فإذا هو قد بات طرفا في الدعوى .

* * * *

أي مريدي
أوصيك بالمسارح تمارسُ فيها القنص ،
فما أسخاها استجابة لرغباتك .
هناك ستجدُ ضالّتك عِشْقا وَغزَلا :
ما تتذوقه مرة ،
أو ما تقتنيه دهرا إن شئت .
هل رأيت صفوف النمل غادية رائحة
تحمل الحبوبَ إلى مساكنها ؟
هل تابعت أسراب النحل ترفرف فوق الأزهار
وحول شجيرات الزعتر ،
خلال الخمائل التي تؤثرها
في أطيب الوديان شذى ؟
هكذا تخطر أسراب الحسناوات إلى حَلْبة الألعاب الحافلة .
ووسط تلك الحشود كثيرا ما طاش حكمي في اختيار إحداهن ،
يمضين جماعات يتطلعن إلى الرجالْ ،
ويتشوّفن أن يتطلع الرجالُ إليهن .



أحد تلامذة فرأنچيليكو :
پاريس يختطف هيلينا .
بإذن من الناشونال جاليري بلندن

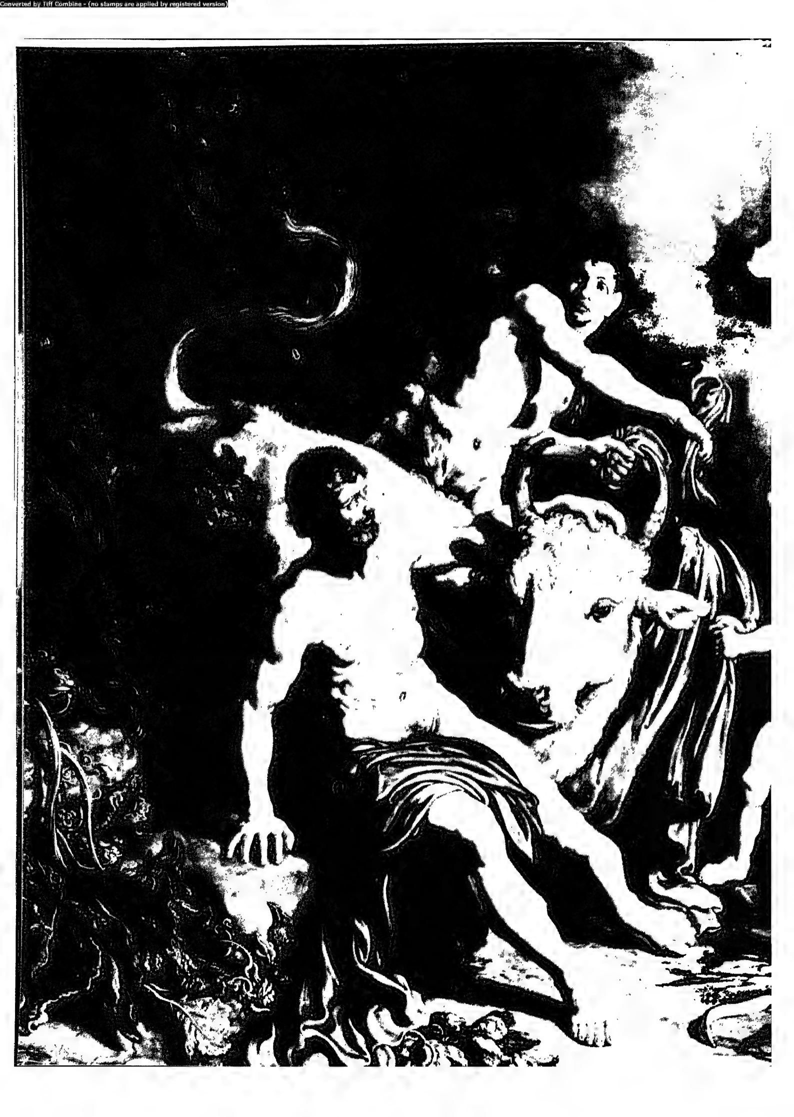


حذار أيتها العفة أن تقتربي ،
ففي هذه الساحة مَصْرَعُكِ .
كنت يا رومولوس أول من نشر الفوضى في هذا الموقع ،
عندما أمست نساءُ قبيلة « سابين » المخطوفات[16]
سلوى لرجالك الأعزاب .
حينذاك ، كان المسرح المرمري ما زال عاريا من الخيام الثمينة ،
ولم تكن منصة المسرح قد زُينت بعدُ بالزعفران الذهبي المنثور ،
بل كانت أكاليل أوراق أشجار البالاتينوس تُنثر عَفْوا ،
وظلت المنصّة عارية من كل زينة .
في تلك الأيام كان القوم يجلسون على درجات معشوشبة ،
وحين تسّاقط أوراق شجرة واحدة
تكفي لتغمر شعورهم الشعثاء .
ويتلفت كلٌّ منهم يَمنةً وَيَسرةً ،
يحتضن بعينيه امرأة يتشهّاها ،
يتأملُها في حنايا قلبه .
وفي ذلك اليوم المشهود
[يوم اختطف الرومان السابينات] ،
هبّ الراقص يضرب أرض المسرح بقدميه مرات ثلاثا ،
وبدأ عازف الناي يرسل أنغامه الساذجة .
دوّى التصفيق ، خشنا فظا .
وأومأ الملك لأتباعه المتلهّفين إيماءة البدء
لخطف[بنات قبيلة « سابين »] .
فما أسرع ما وثبوا مثل وحوش كاسرة ،
يتحشرج في حناجرهم الشبق العارم ،
وأياديهم لهفة نهمة ،
تهوى على مفاتن أجساد العذراوات :

كُنَّ يمامات مذعورات ينشدن الإفلات ،
من بين مخالب صقور جارحة .
أو حِمْلان رُضَّع يلمحن الذئب المفترس الجائع ،
فزعات يهرولن هربا بفرائص مرتعدة ،
وفي أعقابهن البرابرة المختطفون .
ومن فرط الخوف شحبن ، وغاض لون البَشَرَة .
تولاّهُنّ جميعا خوفٌ واحد ،
وان اختلف مسلك كل منهن مع الرعب :
فالبعض يمزّقن جدائلهن ،
والبعض على الأرض ذهلات لا يتحركن ،
واحدة تنتحب في صمت ،
وثانية تصرخ عبثا « يا أماه » ،
وثالثة تحبس دمعتها وتنهنه ،
وفتاة مأخوذة ،
ورفيقة ولّت وهي تفرّ .
والموكب يمضي بعرائسه الأسيرات ،
يزددن جمالا رغم الذعر .
وحين تحاول إحداهن أن تتأبى على آسرها
يحتويها ولهانٌ في صدره ،
يرفعها بذراعيه إلى أعلى ويقول :
« لِمَ تطمسين سحرَ عينك بالدَّمع ،
فأنا وأنت لن نزيدَ بما سنفعلهُ
عما فعله أبوك بأمك » .
أي رومولوس
لك تهنئتي ،
كنت فريدا تعلم وحدك كيف تسوقُ الأسلاب ،



لاستمان :
چونو تضبط
چوپيتر مع إيو.
بإذن من الناشونال
جاليري بلندن



يستملحها كل محارب .
ومن أجل الأسلاب ،
أحببت أنا أيضا أن أنخرط في سلك الجندية .
وانتقل التقليد إلينا ،
وغدت مسارحنا محفوفة بالمخاطر للجميلات .
فلا تفوتنّك الحَلْبةُ حيث الجياد العريقة تتبارى ،
فلتجدنّ فيها مَكْمنا وسط الزحام ،
تتطلّع منه إلى النسوة الفاتنات .
ولا حاجة بك إلى إيماءة رأس ، أو إشارة كفّ ،
فأنت في غنى عن التلميح والمكاتيب .
قَرْ إلى جوار فاتنتك ، فلا حرج عليك .
واقترب لصقها قدر طاقتك ،
واشكر زحمة الجالسين فوق الدرجات ،
لأنها تُقْهر الفتاة على الاستسلام للهصر .

وهنا انشد موضوعاً تتسلى به معها
في حوار رقيق .
وابدأ بما هو محطّ الاهتمام .
سَلْها في شغف مفرط :
« سيدتي ، أي رهط من الجياد نشهد » ؟
ومهما كان ردّها ، بادر باستحسان قولها ،
وحذار حذار
أن تنسى التصفيق بحماس لتمثال ڤينوس صاحبة الجلالة .
لحظة يُشرق في الموكب[١٧]
محمولا فوق أعناق المتبارين .
وحين تلمح ذرّة تراب تهبط على ثوبها فوق الفخذ ،

فبأناملك ادفعها رِفقا .
وإن لم تهبط تلك الذّرة ،
فتوهّم واحدة هبطت وادفعها أيضا .
فالمراد ، أن تنتهز ذريعة ، تثب بها عليها
كي تُظهر ، كم شدّتك هي إليها .
وإذا الثوب على الأرض تدلىّ ومسّه القذى ،
بيديك الحاذقتين ثِبْ وارفعه .
وإن لم تلمح منها سخطا ،
حملق في كاحلها واغتنم الفرصة
جزاء ما أسديت ،
هذا حقّك غير منازع .
وافطن للجالس خلفك مهما كان ،
قد يلمس منكبها الناعم بساقيه غَزَلاً .
فكم من لفتات هيّنة تُغرى العقول النزقة !
تُجْديك كثيرا ، يدك الأريبة
حين تسوّي وسادتها ،
أوحين تميل بمروحة تدفع عنها لفح القيظ ،
أوأن تُرسى لقدميها متكأ .

* * * *



روبنز : اختطاف السابينات .
بإذن من الناشونال جاليري بلندن



هذي حيل من غزل العصر ، يبسطها سخيّا جو الملعب .
و« الفورم »[١٨] أيضا يمنحك الفرصة كاملة ،
رغم رمال الأرض المبتلة حُزْنا ، سُخْطاً
حيث تراق دماءٌ لتسرّي عن الجمع .
ما أكثر ما يقتحم كيوپيد الساحة ،
يُطلق سهما يردي أحد النظارة ،
يصبح في لحظة ، هدفاً لسهام كيوپيد
تصرعه وهو يتحسس كفّ فتاته ويثرثر معها ،
يسألها عن البرنامج ، وعن أي فريق فاز ؟
بينا هو لم يدفع ما راهن به إلا من لحظة ،
وإذا السهم يعاجله ،
فيرسل أنّات إثر الطعنة ،
وينقلب لساعته فصلاً بين فصول العرض .

* * * *

من عهد غير بعيد
حين قدّم القيصر عَرْضاً يمثل معركة [سالاميس] البحرية
بين الفرس واليونان ،
وفدت جموع الفتية والفتيات
من مشارق الأرض ومغاربها ،
وكأن الخلق جميعا قد حُشروا حشراً في روما .
واعجبا
أيفتقر امرؤ في مثل هذا الجمع الغفير إلى خليل !

كم من لمسة حب غزت قلوب نفر من أهل روما
بسهام العاشقين الغرباء !

***　　***　　***

قيصر يتأهب كي يطوي تحت لوائه
ما بقى من العالم خارج سطوته .
وأنت أيها المَشرق النائي ،
لسوف تجثو « إلْيوم » تحت أقدامنا .
أبشر يا كراسوس أنت وولدك في لحدكما
لتدفَعَنَّ الجزية أيها البارثي .
وأنت أيتها البيارق التي دنّسها البرابرة ،
آن لك أن تُنضي عنك الخِزْيَ ،
وترفرفي من جديد [١٩] .
فالآخذ بالثأر لنا يتأهب ،
وهو فتى غض الإهاب [٢٠]
يدخل حرباً لا يضطلع بها الفتيان ،
غير أنه قائد لا يُباري .
ما خَطْبُكم أيها الجبناء ،
تَشْغَلُون أنفسَكم بإحصاء أعياد ميلاد آلهتكم ؟
إن إقدام القياصرة ثمرة مبكرة .
هل فاتكم أن قدرة الأرباب تنمو بخطى تسبق سِنِى أعمارِها ،
فلا تبالي في انطلاقها بالعقبات المعرقلة .
فهرقلُ رضيعاً سِنِي بكفّيه الثعبانين ،

وبات جديراً بأن يعزي لأبيه چوپيتر .
وأنت يا باكخوس ، كنتَ ما زلت صبياً
عندما أرهب صولجانك الهند ، فغزوتها .
أي قيصر ، [يا رمز] الفتوّة
امض ، في رعاية جدِّك ،
وبَوحْي من بسالته .
في رعاية جدِّك وبوحي من بسالته
سوف يكلّل النصرُ جبينَك .
وما دام لك هذا الاسم الجليل ،
فالنصر حليفك .
أنت اليوم أمير الشباب[٢١] ،
وغدا أمير الشيوخ .
واذكر أخوة لك[٢٢] سامهم العدو سوءاً ،
وذُد عن حقوق جدِّك ،
بعد أن اغتصب العدو رُكناً من عرشه ،
مستهيناً بخالد مشيئته ،
لقد قلّدك جدّك السلاح ،
وسلاحُك مشروع ،
فالحق والواجب تحت لوائك ،
بينا سلاحُ خصمك السهامُ الغادرة .
قضية الپارث خاسرة لا يساندها حقُ
فلتذقهم ويل الهزيمة في الحرب .
أي مارس [إله الحرب] .
أي قيصر [إلهنا]
ناشدُتكما أن تسبغا عليه البركة ،
وهو يَنْفِرُ إلى القتال ،

كي يضيف كنز الشرق إلى مُلْك لاَتيُوم .
أحدُكما إلـه ،
والثاني صاعدٌ إلى الألوهية .
هاكم نبوءةٌ فاشهدوا :
النصرُ نصيبك ،
ونصيبي . . . شَدْوي أغنية النصر ،
ودَيْنُك عندي أن الهج جَهْرا بثنائك .
كالطود الراسخ تمضي تردد كلماتي ،
تُذكي بها حماس الجنـد .
ناشدتك ، ألا تَقْصُر همّتك عن مقالي .
أي قيصر .
عا هدتك أن أُشيد باقدام الرومان ،
وأُندّدَ بفرار البارت ،
وبسهامهم تُفْلتُ منهم ذُعرا
من فوق صهوات جيادهم المتقهقرة .
أيها البارتي
إذا كان الفرار هو سبيلك الوحيد للنصر ،
فماذا تُراك للهزيمة أبقيتَ ؟
إن حربك أيها البارتي تحملْ الشؤم إليك .
أنت يا قيصر ،
لينبلجنّ الفجرُ لك .
ولأنت أوسم الخَلْق ، تتألق كالذهب
تتصدَّرُ مركبتك ،
تجرّها جيادٌ أربعة ناصعة البياض كالجليد ،
بينا يُساقُ إليك ساداتهم مكبّلين بالأغلال ،
وقد قطعتَ عليهم سبيل النجاة ،

فلم يفرّوا كما هو دأبهم .
ليفدنّ الشباب المرح فتية وفتيات ،
تخفق قلوبهم وهم يستشرفون موكب النصر .
فإن سألتك عذراء من بينهن عن أسماء الملوك ،
أو رموز الأقاليم والجبال والأنهار المحمولة على الأكتاف ،
بادر وأسهب في الوصف ،
ولا تقصر إجابتك على ما تُسأل عنه .
وحتى لو جَهِلْتَ ما تجيب عليه
فلا تتردّد ،
وادّع معرفة الإجابة الحقة .
لا تتردد وأَطلق للسانك العنان ،
وعرّج على ما لم تُسأل عنه .
وإذا كنت بالإجابة جَهولا فلا تتهيب ،
وبادر بالتلفيق ، وكأنك بكل أمر عليم .
« أنظري
هذا التمثال الذي اكتنفت جبهته القصبات هو الفرات ،
وذاك الذي تنسدل خصلاته الزرقاء الداكنة هو دجلة » .
ولا تثريب عليك يا صاح
إن قلت عن قوم إنهم الأرمن
« وإليكِ بلاد فارس التي شادها پرسيس
حفيد [چوپيتر] وداناي[٢٣] ،
وتلك مدينة في الوديان الأخمينية » .
على هذا النهج سِر .
من تبيّنته من بينهم فسمّه ،
ومن جَهِلته فاخلع عليه اسماً يناسبه .

** ** ** **

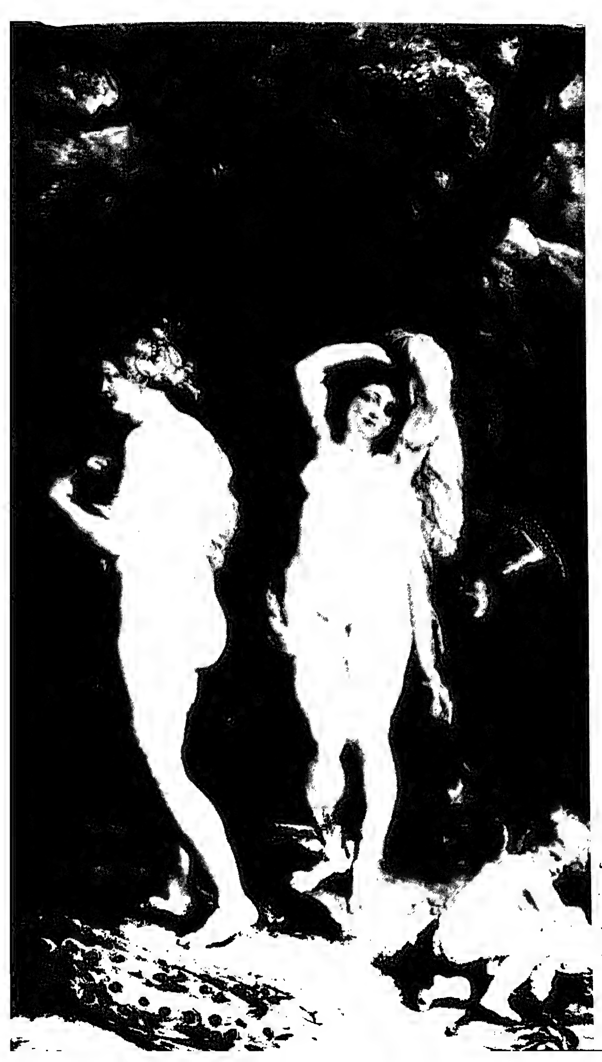
وما أكثر ما تتيح الولائم من فرص .
لتجدّن فيها إلى جوار النبيذ نشوة أخرى .
وربّ الهوى المتألق البَشَرة ،
بذراعه الناعمتين يحوط قرني باكخوس معانقا
ثملاً يستلقي في المأدبة .
وعندما يغمر النبيذ أجنحة كيوبيد العطشى ،
يُذْعن أسيرا وينوء بحمله عاجزاً لا يبرح ،
وسرعان ما ينفض جناحيه ينضو عنهما البلل .
وحتى تلك القطرات حين تتطاير وتلمس الصدور
تنفذ إلى القلب
[كأنها سهام كيوبيد] .[٢٤]
النبيذ يَهَبُ الشجاعه ،
ويدفع الرجالَ في تيار العاطفة المشبوبة .
الهمُّ يوليّ غريقاً في بحر من خمر ،
ويُطِلُّ الضحك
حتى المعْدَمُ منا . تُشرق روحه ،
ينبض فرحا
قد فارقه الهمُّ وانحسر الحزنُ وانبسط جبينه .
فإله الخمر يجلو ما يُخبيءُ معاقرها ،
ليبدوَ الثملُ صريحا
صراحة ما أندرها في هذا العصر .
لحظتها تستلب الأنثى لُبَّ الذّكر ،
ففينوس في كأس الخمر نارٌ في نار .
لا تغرّر بك تلك اللحظة
في ضوء المصباح الخادع
فالليل والخمر يزيّفان حكم العين على الجمال .

في أوج الظهيرة قضى پاريس لڤينوس
بالتفاحة الذهبية جائزة الجمال
[وحجبها عن چونو ومينرڤا] ،
قائلاً : « أنت الأجمل » .
احذر فالليل يستر العيوب ،
والظلمة قد تُضفي على الشمطاء جمالا .
وكما تحتكم إلى ضوء النهار حين تنتقي الجواهر ،
أو تختار الصوف الأرجواني ،
لُذْ به بالمثل حَكَما ،
لتجتلي سمات الوجه واستدارة الجسد .

***　　***　　***



ڤيلاثكويز : ڤينوس في المرآة . بإذن من الناشونال جاليري بلندن



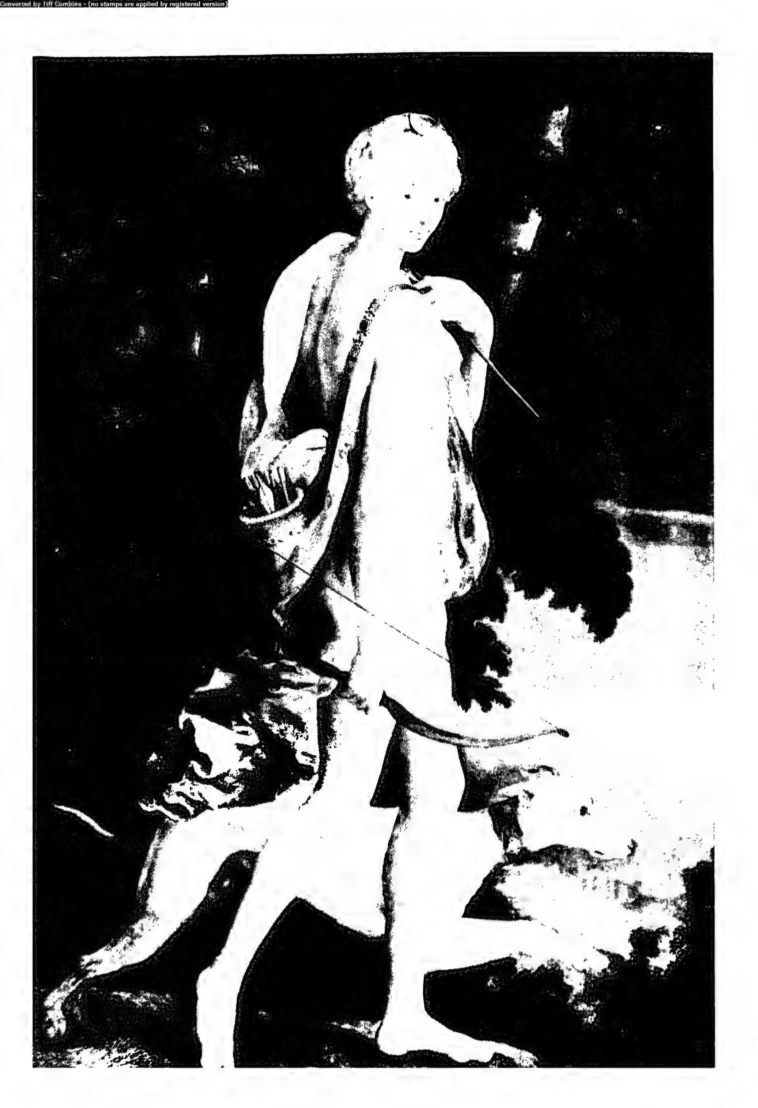
روبنز : تحكيم پاريس بين
ڤينوس وچونو ومينرڤا .
بإذن من
الناشونال جاليري بلندن



ما أغناني عن أن أُحْصِي لك منتديات الصيد ،
وهي كالرمال لا يحصيها عدٌّ .
ماذا أحكي عن باياي[٢٥] وعن ساحلها ،
وعن الينابيع التي تطلق أبخرة الكبريت الدافئ .
هل بلغك نبأُ التعس العائد من عند النبع ،
يحمل جراحا في قلبه ويصرخ :
« واقلباه
يا لخيبة أملي ، تلك مياه لا تَشْفي كما زعموا » ؟
أنظر ،
على مرمى البصر من روما أجمة تضم معبد ديانا[٢٦] ،
فيه يُنَصَّبُ الكاهن ملكا للمعبد ،
بعد أن يقتل مَن سلفه .
[عجبا لكهنة أيديهم مخضّبةٌ بالدم] .
ديانا العذراء تؤثر العذرية ،
وَتَنْفِرُ من كيوپيد وسهمه .
كم من حورية تعصّبت لمذهبها ،
وا أسفاه لقلوب نبضت بالحب لهنّ
وبتعصّبها حطّمتها ، وستحطّمها .

* * *　　* * *　　* * *

◄
مدرسة فونتنبلو : ديانا الصيادة .



خطّت ثاليا ربة الفن
ـ مُنْطلقةً على عجلتين تكبر إحداهما الأخرى ـ[27]
خريطة للحب ما زالت حتى اليوم
تكشف لك عن كل مكان
تنشر فيه شباكك .
يا قوم ،
أيا كنتم وأنّى تكونون ،
أعيروني سمعاً يَطْرب .
أصغوا لي بعقول تستوعب ،
فساتلو قصيدي .
لأجودنّ بحذقي كله ،
وَلأكشفنّ حيلا لا تُفْلِتُ منها من استهوت قلبك .
بَادِيءَ ذِي بَدْءٍ ، طيبوا نفسا ،
فالمرأة في كل مكان صيدٌ سهل .
انصب شَرَكَك . . . وكفى .
تغريد الطير فى الربيع قد يَسْكُن ،
وصرير الجُنْدب في الصيف قد ينقطع ،
وكلاب الصيد قد تهرب من وجه الأرنب ،
لكن المرأة لا تصمد
إذا انساب في أذنيها معسول الغزل .
حتى تلك المرأة التي تخالُها تتمنّع ،
يمكن أن ترضخ .
وكما أن الحب المختلس للرجل لذة ،
فهوكذلك للمرأة لذة .
الرجل ضعيفٌ يغالب ،
كي يُخْفِي مشاعره



فرنشسكو ماتزولا :
كيوبيد يعدّ قوسه
ويشحذ سهمه .
بإذن من متحف
تاريخ الفن بڤيينا

والمرأة أقوى في إخفاء رغبتها .
آهٍ ، لو أمكننا أن نتماسك ،
وأن نكبح أنفسنا ،
وألاّ نبدأ بالإقدام ،
وألاّ نسعى إلى المرأة نتوسّل ،
إذن ، لانقلب الحال وتوسّلت المرأة .
لو أنّا نتأمل دروس الكَوْن
لسمعنا في المرج الناعم
خُوار البقرة
يدعو الثورَ ،
وصهيل الفرس تنادي الجواد ذا الحوافر الصَّلْدَة .
الرغبةُ فينا سواء ،
والشعلة فينا مهما اتّقدت
لا تعدو غايتها المشروعة .
وهي إن قيست بسُعار المرأة ،
شيءٌ لا يؤبه له .
وما أنا بحاجة أن أحدّثكم
عن « بيبليس »
التي التهبت مشاعرها بعشق محرّم :
عشقها لأخيها [٢٨] .
ثم كفّرت عن ذنبها هذا ،
فشنقت نفسها غير هيّابة .
وعن « مورها » التي تولّهت بأبيها ،
لا ذاك الوله المعهود
من بنت لأبيها ،
بل كان غراما عارما لهفا ،

فسختها الآلهة شجرة
حملت اسم [المُرّ] ،
وما زلنا نتضمخ بدمعتها
ذات الشّذى العطر .
وفي الوديان الظليلة من غابات إيدا ،
بدا ثور أبيض بياض اللبن ،
كان فخرَ القطيع
لم تشب بياضَه
سوى حُلكة بين قرنيه .
وكم تمنّت بقرات جنوسيا وسيدونيا [٢٩]
أن يعلوها .
واني لأستميحكم العذرحين أروي لكم هذا الخبر الذائع .
هل تذكرون كم تاقت شغفا پاسيفاي [الملكة]
إلى أن تصبح يوما للثور خدينة ؟
وكم حقدت على البقرات الوسيمة ،
تتفرّسهن حاقدة واجدة ؟
وما بوسع كريت التي تضم مائة مدينة ،
أن تنكر ما كان ، إمعانا منها في النكران .
فلقد قيل إن پاسيفاي كانت تجمع بيديها المرهفتين
الأعشاب الغضة من أنحاء المرج ،
تعلف بها آسر قلبِها ،
وما ثناها عن أن تنخرط في القطيع
ما كان لزوجها من مكانة .
وهكذا فاز ثور على مينوس المليك .
لم تعد ثياب المُلْك الأرجوانية
ذات جدوى لك يا پاسيفاي .



جوستاف مورو : پاسيفاي والثور.

أتتجملّين بها وحبيبُك ثورٌ ،
ولا يُلقي بالاً لأيـة زينة ؟
وما غناء المرآة عندك ،
وأنت آبقةٌ بين القطعان على سفوح الجبال ؟
أتخالين أيتها العاشقة الطائشة
أن جمال جدائلك المضفورة تلفت إليك معشوقك ،
هلا ردَّتكِ إلى وعيك مرآتك !
وهل تراءيت فيها غير واحدة من البشر لا البقر ؟
لكم تمنيتِ أيتها الملكة
أن ينبت لك قرنان فوق جبينك !
أي پاسيفاي ،
كيف تبغين الزنا وأنت المعجبة بزوجك مينوس ؟
وإذا كان لا معدي لك عن أن تَفْجُري ،

فلتختاري لك فاجرا من البشر .
وما تلبث الملكة أن تهجر قصرها إلى الغابات والوديان .

وكأنها على موعد إلى حفل صاخب
قد أعده الإله باكخوس .
تحملق في كل بقرة تقع عليها عيناها ،
وهي تردد « تبًّا لكِ
حين تستمتعين دوني بعشيقي ومالك لبّي .
ها هي ذي تلك اللعوب تتأود تحت بصره
على العُشب الناعم عساها تخلب لبه » .
هذا ما كان من أمر الملكة ،
وإذا هي ظُلما وجَوْرا تأمر
فتُساق البقرة تلو البقرة

إلى الحقل سوْقا تحت ثقل النِّير لتجرّ المحراث .
أو إلى المذبح قهراً لتُنحر قُربانا
خداعا منها ورياء .
وما أكثر ما فتكت بغريماتها باسم الآلهة ،
تنشد زيفا أن تَشْفِيَ غُلّتها .
تميل على قلب غريمتها المذبوحة
تعتصره بيديها بَهِجةً ،
وتتمتم في حقد :

« أريني الآن كيف تستهوينه » .
وكانت تارة تحسد أوروبا [أميرة فينيقيا]
أن ضاجعها چوپيتر في هيئة ثور ،
وأخرى تتمنى لو مُسخت بقرة
شأن إيو عندما واقعها ربُّ الأرباب .
وماذا تتمنى الفاجرة !
والثور الفاتن قد جامعها
وأودعها نطفته ،
بعد أن خدعته متقمّصة هيئة بقرة من خشب ،
ونسلت منه دنساً فلوثت بذلك سلالتها .
لو أن إيروپي الكريتيه لم تذعن لغواية ثيستيس
لانطلق فويبوس إله الشمس في دورته [٣٠] ،
لم يكبح خيل مركبته ،
ولم يرتد سريعا صوب الفجر .
(ما أنفسه عطاءً تحظى به سيدةٌ ،
حين تطيق أن تَقْصُرَ مشاعرها على رجل وحده) .
[« سكيللا » المجنونة بالحب][٣١]



لوكليرك ده جوبلان : اختطاف أوروبا .
بإذن من متحف دنكرك

غفا أبوها نيسوس ،
فاستلبت منه سرَّ قواه خصلة شعره الذهبية ،
منحتها عربون الحب للخصم المعشوق ،
فجازتها الآلهة
بزمرة من كلاب مسعورة تحيط بخصرها .
[وكليتمنسترا] المشئومة ،
ما إن عاد زوجها أجاممنون سالما
من الحروب التي يشنّها « مارس » برّا ،
والعواصف التي يثيرها « نبتون » بحراً ،
حتى سقط صريع غَدْرِها .
« وميديا » الساحرة ،
[ما كاد زوجها ثيسيوس يهجرها]
إلى « كريوسا »[32] الكورنثية
حتى غلا جوفها وأُوغر صدرها ،
[فأهدت كريوسا ثوب زفاف مسموما]
أضرم فيها النار لساعتها ،
ومن ذا الذي لم يذرف على كريوسا دَمْعَه !
لكن غليل ميديا لم يُشف ،
فانقضّت على فلذات كبدها [من ثيسيوس]
وخضّبت بدمائهم كفّيها .

« وهيبوداميا » زوجة أمينتور الموتورة ،
اسْتَعْدَت ولدها فينيكس[33]
ليُغْوِيَ عشيقة والده ،
وصبّ أبوه عليه اللعنة ،
فذرف دموعا من مُقَلٍ غاض نورها .

وأنت أيتها الجياد المذعورة ،
ألم تمزِّقي هيپوليتوس إرْباً إرْباً ؟[٣٤]
وأنت يا فينيوس
لماذا سَمَلْتَ عيون أبنائك الأبرياء ؟
لقد حُقّ العقاب عليك[٣٥] .

** ** ** **

هذي كلها جرائم بشعة ،
ارتكبتها نبيوة أعماهن العشق .
ولا غرابة في هذا ،
فالأنثى شهوتها مجنونة
وأشدّ سُعارا .
هيّا يا صحاب دون تردّد ،
فالمرأة رهن إشارتكم
شَذَّ أن ترفض واحدة منهن .
ثم إن الرفضَ ليس هزيمة .
سِيّانَ قبلت أو رفضت ،
فجميعهن بالغزل يسعدن .
استعرض كل جديد من الألاعيب يستهويهنّ .
فما لا نملك . أكثر إغراء مما نملك .
ومحاصيل حقول الآخرين أوفي ،
وضروع قطيع الجار أسخى .

أبدأ بالتقرّب إلى وصيفة فاتنتك ،
فهي من ستمهّد لك الطريق ،
واعلم أنها أكثر من يمتلك سمعها ،
وأنها جديرة بثقتك حين تأتمنها
على هيامك المحجّب .
أَغْرِها بالوعود والرجاء ،
فإن صدقت نيّتُها
باتت ضالّتك قريبة المنال .
وستُحسن هي اختيار الميقات
(مثلما يجيد اختياره الطبيب البارع) ،
عندما يصفو مزاج السيدة ،
وتغدو مشبوبة النشوة ،
فتتأود كأعواد القمح في التربة الخصبة ،
وعندما يطرح القلب أشجانه ويتفتّح طربا ،
تبدو الفرصةُ مهيأةً ،
فتحتال ڤينوس بفنها المُغْوِي .
فتحت وطأة الحصار ، وفي غمار المعركة الضارية
صمدت طروادة سنواتٍ عشراً .
وما كاد العدو يوهمها بالانسحاب وتستنيم ،
حتى فتحت ذراعيها مرحِّبة بالحصان
بينا غريمها قابع في جوفه .
هكذا ، بيدك أن تملك فاتنتك
إن أحنقها غريمك
أو خانها مع أخرى .
فلا يفوتنك أن تأخذ آسرة قلبك
بثأرها منه على يديك .

حُض وصيفتها على أن تُذْكَي نارحَنَقها
وهي تمشّط خصلات شعرها في الصباح .
وضُم إلي دَفْعة الشّراع قوة المجداف ،
وارج الوصيفة أن تتنهد وكأنها تناجي نفسها فتقول :
« ومن أسفٍ أنكِ لن تَقْوَيْ على أن تردّي له الصنيع بمثله[٣٦] ! »
ولتتحدث الوصيفة عنك
تحمل لها عباراتك المغريــة ،
وتُقْسم أن الهوى يعتصر قلبك والجوي يستعبدك .
ولكن حذار أن تتباطأ .
أسرع قبل أن يهبط الشراع وتهمد الريح ،
فقد تبدأ سورة العاصفة .
مثل الثلج الهش سرعان ما يذوب .
قد يراودك شعور بأن إغواء الوصيفة نفسها يُجديك .
حِلمــاً
قد يحمل هذا الطيش بين طيّاته مخاطرة .
فإما أن يثير عطفها على مسعاك
فتُنيلك فاتنتك ،
وإما أن تتقاعس عن خدمتك ،
فعليك بعدُ أن تقنع بالوصيفة .
ولو أن سعيك جدير بمثل هذه المخاطرة ،
إلاّ أني أُخْلصك النصحَ أن تكفّ .
فلم يسبق لشباب قُدته أن وقع في الأسر.
ولن أقودك عبر طرق وعرة خطرة ،
بل سآخذ بيدك عبر طريق آمن ممهّد .
فإذا صح أن الوصيفة حريصة على عونك
وكان وجهها ينبيءُ عن تفانيها في خدمتك ،

فاحتفظ بالقبلة الأولى لسيدتها ،
وأرجئ الوصيفة إلى ما بعد .
وإذا كان لا معدى لك من مغازلة الوصيفة ،
فإليك أسوق أغلى ما تفتّقت عنه حيلتي .
كن بداءة على يقين من الفوز بها ،
حينئذ يبقى السرّ في حرز أمين .
فهي لن تجسر على أن تبوح به ،
لأنها شريكك فيما ارتكبت .
فالصياد الماهر ،
هو من يحرص على ألا يفلت منه الطير .
بعد أن يحط في الشباك ،
ولا الخنزير البري بعد أن يقع في الشراك ،
ولا السمك بعد أن يلتهم الطُّعم .
وإذا غدت الوصيفة طوع بنانك ،
تمهّد لك الطريق إلى ما تنشد
ففي سبيلك ستخون وليّة نعمتها
تعيد على سمعك ما عرفت وشاهدت ،
وما جرى على لسان فاتنتك .
واصغ إلى ما تنقله إليك جاسوستك الوفية ،
لتدري متى مالت عنك آسرتك

***   ***   ***

ولا يخطرن ببالك أن معرفة التواريخ والفصول
حِكْرٌ على الملاّحين ماخري العباب ،
أوعلى الفلاحين حارثي الحقول .
وإياك أن تنثر البذور في الحقول العاقة ،
أوتترك قاربك المجوّف نهبا للخضم الأخضر .
فاصطياد الجميلات غير مأمون في كل الأوقات .
وهذا الذي يَقْدُر الوقت
هو وحده من يفوز .
وأنت . . . .

لا تسع إليها يوم ذكرى ميلادها وأيام تقديم الهدايا
التي تجمع بين ڤينوس ربة الحب ، ومارس رب الحرب والفحولة .
وسواء كانت حَلْبة الملعب مزدانة بالتماثيل ،
أوكانت عامرة بغنائم الملوك يتقاطر الناس عليها ،
تَراخَ أنت ،
واعلم أن هذا الوقت عينه
مهدد بأخطار العواصف ،
لأن كوكبتي الثريا والجَدْيين
تلتقيان بأمواج البحر قرب الأفق ،
فمن الحكمة أن تكفَّ .
فالملاّح الذي يُسلم آنذاك
مركبه إلى موج الخضمّ العميق ،
ما أشقّ عليه أن ينجو ببقايا قاربه المحطّم .
صِل سعيك حين يفيض نهر الآليا المشئوم ،
بدماء جروح اللاتين ،
وفي ذاك اليوم السابع من أسبوع يهود الشام
حين يكفّون عن البيع والشراء[٣٧] .

وتجنّب يوم ذكرى مولد فاتنتك ،
لعمري أنه يوم أغبر ،
حيث لا مهرب من تقديم هدية ،
مهما حاولت ،
فالمرأة بارعة في سلب عشيق متلهّف ،
ثروته .
سيمرّ بباب عشيقتك ، بائع جائل
يعرض ما يحمله من سلع ، وهي تهفو نفسا للشراء ،
بينا تجلس أنت إليها مهموما .
ستحاول إيقاعك في ورطة ،
تسألك الرأي فيما هومعروض ،
وتُذْكي فيك خُيَلاءَك كي تبدوخبيرا ذوّاقة ،
وتجيب .
ستغمر وجهك بالقبلات ،
تستجديك شراء المطلوب ،
مُقْسمة ألف يمين أن سوف يكفيها عشرة أشهر .
وما أنسبه يوما ، فالحاجة ماسة .
ومهما راوغت مدّعيا أنك لا تحمل ثمنه في جيبك ،
ستقول « لا حرج عليك ، وقّع صكّاً بالمبلغ » .
عندها ستلعن اليومَ المشئومَ ،
يوم خطَّت يمينك للمرة الأولى .
وستستهديكَ هدية ، تدعوها « كعكة مولدها » .
وتعيد الكرّة حين تريد هدية ،
فلا تتحرج من أن تختلق عيداً آخر لمولدها
يتفق وكل هدية .
هَبْها شهقت فجأة ،

زاعمة فقدان شيئ لم يُفقد .
ما ذا تفعل إن قالت :
« من قُرطي سقط اللؤلؤ » ،
بينا تعلم أن القرط من اللؤلؤ عار ؟ .
لا ترقب منها سداد الدين ،
فمالك مفقود حتما دون كلمة شكر .
عشرةُ أفواه ، ومن الألسنة مثلها
لا تكفيني يا صاح ، كي أحصي
حيل الفاتنة الماكرة .

*** ***

ابسط الشمع فوق ألواح الكتابة الملساء
قبل أن تخطّ عليها .
ودع كتابك يكشف عن نواياك ،
يحمل نبض وجدانك ، وانبهارك بمفاتنها ،
كي تستميلها .
وأضف ضراعات الحب عربونا .
فمن قبل استمالت الضراعة قلب أخيل ،
فأعاد جثة هكتور إلى أبيه پريام .
والآلهة الغضبى ،
لا يحرّك قلوبها غير ضراعات المتعبدين .
امنح الوعود ، فليس عليها حساب ،
فبالوعود يغدو كل امرء ثَريا .

الأمل إذا غزا القلوب عاش طويلا .
الأمل ربٌّ خادع ، وهو حينا نافع .
وإذا بذلت فلا يخالجنّك الغرور ،
فما أسرع ما يبطل فعلُ هديتك في نفسها
فتهجرك عن سببٍ تراه هي وجيها .
وخيرٌ لك أن تبدو وكأنك على وشك عطاء ،
لن يكون .
فما أكثرَ ما تخدع الحقولُ القاحلةُ صاحبها ،
وما يرتد المقامر عن اللعب خشية أن يخسر ،
يده الجشعة تهفو للنرد المرة تِلْو المرة .
بلا هدايا مسبقة ، أظفر بحب معشوقتك ،
« هذا هو العناء ، وهذا هو العمل الجاد »[٣٨] .
ثق أنها ستهبك المزيد ،
حتى لا تخال أن ما وهبتك قد ولّى عبثا .
عجّل إذن برسالة منمقة
تهزّ كلماتها كلَّ مشاعرِها ،
ولتكن رسالتك رسول هواك .
أَوَلم تقرأ سيديبي الرسالة المسطورة على التفاحة ،
فإذا هي تقع أسيرة ما فاهت به [٣٩] ؟

*** *** ***

أي شباب روما .
عليكم بفنون الخطابة الرفيعة ،
لا لتبرئوا موكّليكم المتوجّسين خِيفة فحسب ،
أو لتقنعوا القضاة الصارمين ،
أو لتؤثروا على الشيوخ المختارين ،
أو لتكسبوا تأييد المشاهدين ،
بل لتسحروا بالبلاغة النساءَ أيضا .
ليس الحب مجالا تستعرض فيه قواك ،
فاحذر أن تشي عباراتك عن سعة علمك ،
ولا تتحذلق في توسلاتك أو تتقعر .
وَمَنْ غير الأحمق ،
يُفْرغ خطبةً طنانة في أذن حبيبته الرقيقة ؟
كم من رسالة بأسلوب خطابي أورثت النفور؟
فلتوح ألفاظك بالثقة ،
ولتنتق كلمات مألوفة ،
ملاطفة متملقة ،
فتبدو وكأنك تتحدث في حضرتها بصوتك الحيّ .
فإن ردّت مكتوبك غير مقروء ، لا تيأس ،
وازدد أملاً أنها ستطالعه يوما .
فالثور العنيد يُقبل على الحرث حين يعنّ له ،
والخيل تلفظ العنان ، ثم تتقبّله طيّعة ،
والخاتَم لو صُبّ من حديد ، يتأكّل بطول المدى ،
وتكرار الحرث يُثْلم نصل المحراث المقوس .
وأي شيءٍ أصلب من الصخر ،
وأي شيءٍ ألين من الماء ؟
غير أن الماء اللين ، يخرقُ الصخر الصلبَ .

ثابر ، فالمثابرة وحدُها ، قد تقهر پنيلوپي .
وطروادة البرجامية ظلّت صامدة سنوات عشرا ،
ومع ذلك سقطت .
هَبْ أن فتاتك قرأت مخطوطك
وتهاونت في الرد عليك ،
لا تَهُن عزيمتك ،
واحرص أن تُتبعه بثناء آخر ،
فمن قبلت أن تقرأ ،
ستقبل يوما الرد على ما قرأت .
سيأتي ذاك اليوم على رِسْله ، على درجات ومراحل .
ولا تَقْنَط ،
إن جاءك منها مكتوب غاضب ،
ينهاك عن مضايقتها .
فاعلم أن ما تبغيه هوما تخشى أن يتحقق ،
وما لا تبغيه ، بينا تعشقه ،
هو أن تُتابع سعيك .
صِلْ إلحاحك ، وقريبا تحظى بضالتك .

*** *** ***

وحتى يحين ذاك الوقت
إن لَمَحْتَ محبوبتك
تتكئ على وسادة الهودج المحمول ،
اقترب منها بحرص ورياء .
وَخشيةَ أن تسترق أذنُ السمعَ إلى همساتك
اخف معاني الكلمات ،
غلّفها في إيماء ماكر .
وإذا كانت قدماها المتثاقلتان
تطآن الأرض في الرواق الفسيح ،
اقترب منها وشاركها ثقل الخَطْو .
داعبها بمغازلة ودّية ،
أسرع تارة وتلكّأ أخرى ،
لا تخجل أن تنفلت بين الأعمدة لتقطع عليها خط السير ،
أو أن تزْحَمَهَا في الخَطْو .
وفي المسرح لا تدع فتنتها تتبدّد .
قرْ في مقعدك وتأمل أناقتها .
هذي فرصتك فأظهر إعجابك .
أكمل غزلك بإشارات يديك ونظراتك .
صَفّق حين يحاكي اللاعب رقصة أنثى ،
وتحمّس للعاشق يظهر فوق المسرح ،
وانهض ، إذا ما نهضت ،
واقعد ، إذا ما قعدت ،
طوّع وقتك وفق رغبات فتاتك

***   ***   ***

لا حاجة بك أن تصفّف شعرك بأمشاط الحديد ،
ولا أن ترقّق أطرافك بحجر الخفاف .
دع هذا للخصيان
الذين يتغنّون بإنشادهم المحموم ، الفريجي النغمات
لربّتهم كوبيلي .
فالأحْرى بالرجل ألاّ يغالي في زينته ،
فثيسيوس غزا قلب أريادني ابنة مينوس[٤٢]
دون أن تزيّن دبابيس الشعر فَوْديه ،
ووقعت فايدرا في هوى هيپوليتوس[٤٣]
ولم يكن من المغالين في زينتهم ،
وحظي أدونيس ابن الغاب[٤٤] والفطرة
بقلب ربة الهوى ڤينوس .
آيتك النظافة ،
واترك وجنتيك لريح الحقول تلوّحهما .
ولتكن عباءة التوجا مناسبة لقدّك ،
وثوبك خاليا من البقع ،
وأربطة نعلك مشدودة .
ولتجلُ صُفْرة أسنانك حتى تتألق .
واختر لقدمك حذاء لا تَغْرَقُ فيه وتضلّ .
ولا تُسلم شعرك المنتصب العنيد ،
وذقنك المهوَّشة ليد حلاق خامل .

◀

ڤيرونيزي : ڤينوس وأدونيس .
بإذن من متحف تاريخ الفن بڤيينا



قلّم أظافرك البارزة ، واطرح عنها القذى ،
وانزع الشعيرات المطلّة من تجويف منخارك .
ناشدتك الرّفق بالناس من بَخْرٍ يفوح به فمك ،
ولا تحاك برائحتك عطن القطيع وراعيه
يثب في خياشيم الناس .
واترك ما عدا ذلك من ضروب التأنق والزينة للغانيات ،
وللذكور الذين يحملون
رسالة إرضاء شهوات نظرائهم من الذكور .

*** *** ***

ها هو ذا باكخوس يدعو منشده ،
ولا عجب ، فباكخوس حليف للهوى ،
يُذكي الشعلة التي يحترق بها .
طوّفت أردياني كالمجنونة فوق رمال لم تطأها قدمٌ
بجزيرة ديا « ناكسوس » الصغيرة
تلطم شطآنها الأمواج .
وما أن نهضت من سباتها
في قميصها المنسدل الفضفاض عارية القدمين ،
وقد استرسل شعرها الأشقر ،

حتى صاحت في وجه الأمواج الصمّاء
منادية ثيسيوس حبيبها الغادر
وبلّلت وجنتيها الرقيقتين بدمع العار .
وما أجدتها الدموع ولا أجداها العويل ،
ولو أنهما لم يمَسَّا جمالها .
ثم دقّت صدرها البضّ وهي تصيح :
« خلّفني الغادر وحدي ،
ماذا تراني فاعلة ؟ »
ولم تلبث أن سقطت مغشياً عليها ،
إذ ريعت بعد أن طرق سمعها
صلٌّ الصنوج وقرعُ الطبول ،
آتية عبر رمال الشاطئ .
ولفظت آخر كلماتها ،
قبلما تجف في أطرافها الحياة .
ها هو ذا موكب باكخوس وأتباعه ،
يهلّون بضفائرهم المُتهدلة على ظهورهم ،
تتقدمهم « جوقة » الساتير الداعرين ،
تتلوهم ثُلة تبشّر بطلعة الإله .
ها هو ذا أبونا العجوز سيلينوس
راعي الإله باكخوس ،
ثملاً يقبض على معرفة جحشه المحدودب الظهر
خَشية أن يسقط ،
والحوريات يشاغبنه فيطاردهن ،
يهربن منه ثم يعدن يعاكسنه .
وفارسنا المترهّل يحثّ دابته بعصاه عبثا ،
ويسقط فوق الأرض عن صهوة جحشه الطويل الأذنين ،

يجذب رأسه ، فتهلّ جوقة الساتير من حوله
« .. قُم .. انهض يا أبانا سيلينوس » .
وتُطلُّ طَلعة الإله ،
من بين عناقيد الكروم
التي تكسو مركبةً تجرّها النمور المكبّلة ،
يقودها بأعنّة من ذهب .
ولم تفقد أريادني ثيسيوس وحدَه ،
بل فقدت معه لون بَشَرَتِها وأوتار صوتها .
ومراتٍ ثلاثا حاولت أن تولّيَ الأدبار ،
ومرات ثلاثا أحبط الخوف مسعاها ،
وارتعدتْ كما ترتعد الأعواد الجافةُ أمام الريح ،
وارتجفت كما ترتجف قصبات الغاب وسط مياه المستنقع .
وناداها الإله بقوله :
« ما خَطْبُك وأمامك عاشق يفوقه إخلاصا ،
لأهبنّك السموات مَهراً ،
ولسوف يتطلع الناس إليك نجما مضيئا في السماء ،
ليغدونّ تاجك الكريتي منارةً يهتدي بها القارب الضال » .
وَخَشْيَة أن تُراع الفتاةُ من نموره ، قفز الإله من عربته ،
فلانت الرمال تحت قدميه وهو يخطو ،
واحتواها في صدره ،
(إذ استرخت وأصبحت أعجز ما تكون عن أن تقاوم) .

وحملها بعيدا .
ما أيسر أن يكون الإله قادرا ! »
وأنشد البعض « عشت يا هيمينايوس » ! .
وهلّل البعض الآخر « إيوهيه »
إلى من يُقال له إيوهيه[٤٥] .



روبنز : باكخانال [حفل باكخوسي]

في هذا المقام يختلي الإله بالعروس
فوق أريكته المقدسة ،
ويغشاها .

*** ***

لذلك عندما يفيض عليك سخاء باكخوس ،
فتشاركك امرأة أريكة الشراب ،
اضرع لرب شعائر الليل الماجنة ،
وَمُرْ قوي الليل أن تحول دون أن تديرَ الخمرُ رأسك ،
حتى تملك قول الكثير في كلمات مُلْغزة ،
تلفت انتباه شريكتك إلى أنك تعنيها بحديثك .
ولترسم بالخمر على المائدة بالحرف الدقيق
كلمات الإطراء الرقيق ،
فتدرك شريكتك بمطالعتها
أنها ملكت قلبك .
أرن إلي عينيها بمُقْلتين
تحملان الاعتراف بما يشتعل في صدرك من جوي ،
فرُبّ نظرة صامتة حُبلى بأبلغ الكلم .

ڤان دايك : سيلينوس ثملاً . بإذن من متحف درسدن

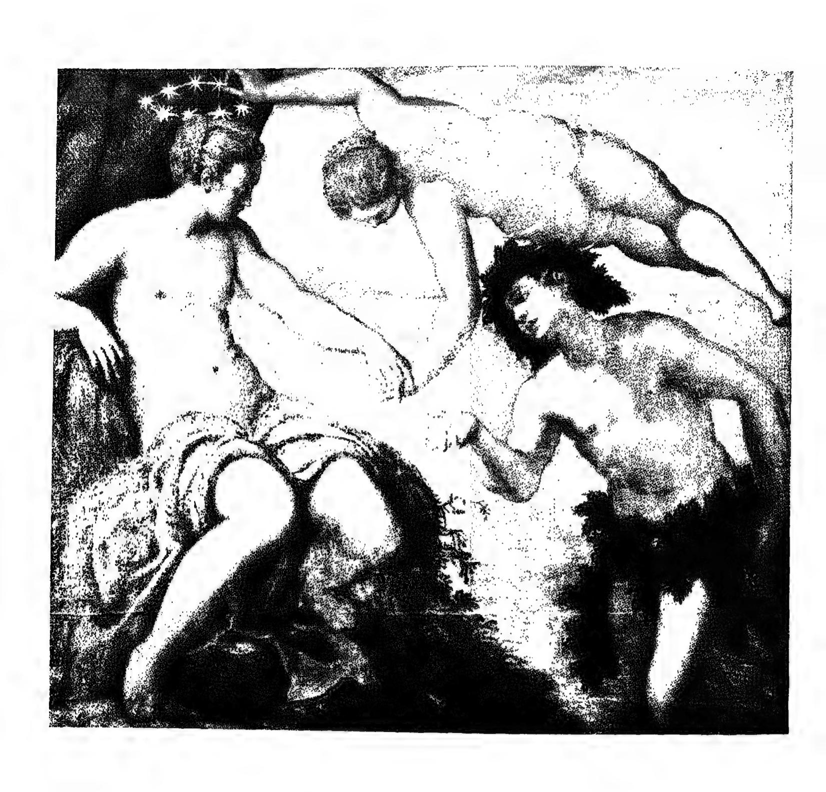


وكن أول من يقبض على الكأس التي لثمتها شفتاها ،
وارشف من حيث رشفت ،
واسع في طلب صحفة الطعام التي امتدت إليها يدها ،
بل أمسس يدها .

* * *

واحرص على أن تكسب زوجها صديقا ،
ذلك أجدى لك .
تنحّ له عن النخب الأول إذا كان الشراب اقتراعا ،[٤٦]
واخلع عليه إكليل الغار الذي يعلو هامتك .
سواء كان في مكانتك أو أدنى ،
أدعه إلى تناول ما يطيب له
مما هو على مائدتك ،
وامنحه الصدارة في الحديث .
فطريق الخداع تحت ستار الصداقة مأمون مطروق ،
غير أنه طريق آثم .
وارع زوج محبوبتك رعاية نُظّار الضِّياع
يبالغون في الاهتمام بما وُكِلَ إليهم ،
ليستنزفوا منه مزيدا لهم .

* * *　　* * *



تنتوريتو : باكخوس وأريادني
قصر الدوج بالبندقية

أي مريدي
هاك ناموس الشراب ، فاتبعه ، تأمن .
احرص على صفاء ذهنك ، وتوازن قدميك
حتى تؤدي جميعا واجبها خير أداء .
وتجنّب بخاصة
الشجار الذي ينشب في أعقاب احتساء الخمر ،
حين تتسابق الأيدي إلى المصارعة الوحشية .
وقديما هوى القنطوريوريثيوس فوق الأرض
على إثر ما تجرّعه طيشا من خمر[٤٧] .
فالطعام والراح يجمعان الناس على مرح لا على عراك .
غنّ إن كنت رخيم الصوت ،
وارقص إن وُهبت الرشاقة ،
أسعد من حولك بأية موهبة مُنحت .
السُّكر المفرط وخيم العاقبة ،
والتظاهر بالسكر زيفا حلو الجني .
فليتعثر لسانك الطّلق في حديث متلعثم ،
حتى إذا بدر منك ما يُعدّ تجاوزا للياقة
وقع وزره على الإفراط في الشراب .
ارفع كأسك وقل : « في صحتك يا سيدتي »
« وكذلك في صحة من ينعم إلى جوارك في الفراش » ،
بينا يردد قلبك في صمت :
« فليمض الزوج إلى الجحيم سريعا » .
وحين تُرفع الصحاف ، وينفضّ الصحاب ،
بادر بالاقتراب منها في زحمة الانصراف ،
واجذب طرفا من كمّها ،
والمس قدمها بقدمك ،

فقد آن أوان الحديث معها ،
واطرح عنك خجل أهل الريف .
إن ربة الحظ « فورتونا » وربة الهوى « ڤينوس »
لن يقدّما عونهما لغير الجسور .
ولا تتأخر حتى يهبط عليك وحيُ الشعراء ،
بل ابدأ ، وستأتيك الطلاقةُ طواعيةً .
مثّل دورَ العاشق ،
وزيّف شجن الحب بمعسول القول ،
فلن تكاد تؤمن بما تردده لها حتى تُنيلَك ما تبغي .
ولا تخل أن تصديقك أمر متعذر ،
فما من امرأة إلا ترى في نفسها مدعاةً للعشق ،
وهي مهما بلغت من القُبح شأوا ،
مؤمنةٌ بأنه لم يُخلق بعدُ
من يُفلت من سحر فتنتها .
ومع ذلك كله ،
فما أكثر ما يقع مدّعي الحب في شراك الحب حقا ،
ويتحوّل مؤمنا بما انتحل .
وصيتي إليكن أيتها النساء ،
أن تغدون لمدّعي الحب ألين عريكة
فقد تظفرن به عاشقاً مشتعل الوجد .
ولقد آن أن يقع الفؤاد في شَرَك المديح البارع ،
كما تنحت المياه الجارية من نتوء الشاطئ ،
فلا تتوان عن التغزل في سحر عينيها ،
وفي جمال شعرها ، وأناملها المبسوطة ،
وقدميها الدقيقتين .
فحتى أشرف العذارى يتشوّفن إلى الاصغاء

بلا انقطاع إلى اطراء محاسنهن .
والعفيفات كذلك ،
يغرّهن أن يكون جمالهن مثار احتفاء ،
وإلاّ لما استحيت كل من چونو ومنيرڤا ،
بعد أن فازت عليهما ڤينوس في مباراة الجمال
التي انعقدت في الغابات الفريجية .
فحينما تطري امرأة ،
ينشر طاووس چونو جناحيه زهواً وخيلاء .
أما إذا قنعت بالحملقة إليها في سكون ،
فلسوف تحجب عنك مفاتنها .
حتى فرس السباق العريقة في حَلْبة المباراة ،
تهفو إلى أن تمشط لها معرفتها ،
وتهدهد عنقها .

*** *** ***

كن جسوراً في وعودك ،
فطالما خدعت الوعود النساء ،
واختر إلهاً تُشْهده على قَسمك .
إن چوپيتر في علياته يضحك ملء شدقيه ،
على قَسَم العشاق كذبا ،

ويأمر رياح أيولوس[48] أن تذروه أدراجها .
فجوبيتر نفسه ،
ألف أن يقسم لجونو بنهر ستيكس زيفا .
فما أحراه أن يناصر من هُمْ على شاكلته ،
يتبعون هديه .
حقاً إن للآلهة نفعاً عظيما ،
فلنؤمن إذن بوجودهم [49] .
وليُحرق البخور ،
وليُسكب النبيذ على المذابح العريقة ،
فالآلهة في عليائهم ،
ليسوا غافلين كأنهم نيام لا يبالون .
وحذار أن تسيئ إلى غيرك ،
لأنهم يرقبون أفعالك عن كثب .
رُد الوديعة إلى صاحبها ، والتزم بما وعدت ،
لا تخدع ،
ولا تلوّث يديك آثما بإراقة دم مسفوك .
وان تكن حكيماً فلا تخدع سوى النساء ،
كي تنجو من المتاعب .
والتزم بما وعدت عدا ما ذكرت ،
فلا بأس عليك أن تخدع الخادعات ،
فجلّهن ماكرات ،
وليقعن فيما نصبنه من فخاخ .
يُحكى أن مصر قد نضب من سمائها المطر ،
وعاشت أرضها ظمأى تسع سنوات عجاف ،
فاقترب ثراسيوس من بوزيريس ،
يعرض استرضاء رب الأرباب بسفح دم غريب ..

فردّ بوزيريس بقوله :
« لأنت الغريب ،
ولتكونَنّ أول ضحية لرب الأرباب ،
وبك تُمنح مصر الماء » .
وقضى ڤالاريس بأن يُحشر بيريلوس في جوف الثور ،
ليكتوى بما صنعت يداه ،
فكان صانع الشؤم أول من اختبر صنيع يديه .
بوزوريس وڤالاريس ، كلاهما عادل ،
فليس أكثر عدالة من قانون يقضي
بأن يموت مهندسو الموت بما أبدعت هندستهم ،
هكذا عليك أن تشعر المرأة بوخز الجرح ،
الذي بعثه هي بفتنتها في قلوب الرجال .
الدموع سلاح يفلّ الحديد ،
فهيئ لفاتنتك ما وسعك الجهد
أن تشهد وجنتيك منداتين .
وإن أخفقت في استدرار دمعك
(لأنه قد لا يستجيب إليك طيّعا حين تريد) ،
بلّل عينيك .
أي حكيم لا يمزج بين القبلات ومعسول الكلام ؟
أن تمنع عنك القبلة ، حاول أن تجنيها قسراً ،
وقد تلقي مقاومة منها وتسبّك قائلة « يا وغدُ » ،
بينا هي في الحق تذوبُ
فإذا انهزمت بين يديك فلا تُغْلظ في خطف القبلة ،
كي لا تُدمي شفتيها الرهيفتين ،
ولا تتح لها أن تندّد بغلظتك .
القبلة وحدُها ليست غاية ،

فمن لا يظفر بما يتبعها ،
غير جدير بأن ينعم حتى بما مُنح .
فيم انتظارك بعد القبلة ؟
إن لم تصل السعي لبلوغ المأرب ،
فلا تردّ ذلك إلى الحشمة مدّعيا ،
بل إلى تخاذلك .
زاول العنف ، فالنساء يحببنه منك ،
يفضّلن أن يَهِبْنَ مُكْرهاتٍ ما يَتُقْن إلى منحه .
وما أسعدها تلك التي تأخذها على غرة ،
فهي تفسر جُرأتك على أنها آية تقدير منك لها .
أما تلك التي تمضي دون أن تمسسها ،
وكان في وسعك أن تعنف معها ،
صدّقني ، أنها مهما بدت سعيدة ،
فهي في الحق شقيّة .
لقد عانت فويبي وشقيقتها هيلايرا من عُنف السّبي
[من التوأمين كاستور وبوللكس] ،
ومع هذا ذاقا أعذب متعة في كَنَفِ الأسر .
ومع أن قصة العذراء دايداميا الإسكيرية
وعشيقها أخيل الهايموني ذائعة الشهرة
إلا أنها جديرة بالسرد .
فما أن أهدت ڤينوس لباريس حب هيلينا ،
نظير حكمه لها بجائزة الجمال
بتفوقها على چونو ومنيرڤا ،
ووفدت هيلينا الإغريقية إلى قصر پريام الطروادي ،
حتى أقسم أمراء الإغريق جميعا
يمين الولاء لمنيلاوس زوج هيلينا جريح الفؤاد ،

للثأرمن طرواده ،
وهكذا أصبح عذاب فرد قضية أمة .
وعلى نحو مخزٍ أذعن أخيل لضراعات أمه ثيتيس ،
واستخفى في زي امرأة ،
عسى أن تجنّبه مصيره المشئوم في حرب طروادة .
أي أخيل ،
ما كانت « شلاّت » الصوف حرفتك ،
وإنما شهرتك في فن آخر ترعاه « باللاس » ،
ما لك وصناعة السلاّت يا حفيد آياكوس ،
فما أخلق ذراعك بحمل الترس ؟
وما لكفِّك وشلاّت الصوف ،
تلك الكفُّ التي بها ستصرع هيكتور؟
ألق بالمغزل ولفافاته المُضنية بعيدا ،
فقبضتك جديرة بأن تسدّد رمحا
من خشب أشجار جبل پيليون .
وكانت الأميرة دايداميا في قاعة تضم أخيل ،
ولم تكشف حقيقته إلا بعد أن وطئها .
لقد نالها بالعنف ،
وهي حقيقة لا مماراة فيها .
وكم أحبت أن ينالها ثانية بالعنف ،
وكم صاحت وهو يمضي عنها :
« امكث بقربي ، ولا تدعني » .
وكان أخيل قد ألقى بالمغزل ،
خلع ثياب الأنثى وامتشق سيوف الأبطال .
ما خطبك يا دايداميا ،
أتستبقين هاتك عِرضك قسرا

بنداءاتك المغويـة ؟
المرأة وإن كانت تخجل حين البدء ،
غير أنها لا تلبث أن تخضع منتشية .
العاشق المغرور وحده ،
هو الذي يرقب أن تبدأ محبوبته بمغازلته .
اخط الخطوة الأولى وتضرّع بعبارات عذبة ،
فما أشد ارتياح المرأة إلى ما في الضراعة من ملاطفة .
دبّر لها ذريعة ، تحفظ لها حياءها ،
تمنحك ما تصبو إليه .
لقد مضى چوپيتر نفسه ضارعا إلى بطلات الزمن الغابر ،
فلم نسمع عن إحداهن بدأت بمغازلة رب الأرباب .
ولكن لك أن تتقهقر إلى الوراء خطوة ،
إذا اكتشفت أن ضراعاتك تغريها على أن تطغي .
ومن النساء من يتشبثن بمن يسارع إلى هجرهن ،
وينفرن ممن يرتمي لاصقا بأعتابهن .
اعتدل في زحفك نحوهن ،
وتجنّب أن يسأمنك ،
ولا تكشف في ضراعاتك عن أملك في إتيانهن ،
وليشقّ الحب طريقه مقنّعا بخمار الصداقة .
فقد صادفتُ امرأةً متمنّعة ذات مرة ،
خدعتها الوسيلة عينُها ،
وسرعان ما استحال من بدأ معجبا فحسب ، عاشقا مدلّها .

***   ***   ***

من الخِزْي أن يكون جسدك أبيض ،
فَبشَرة الملاّح الحق يلفحها وهج الشمس ومِلح البحر ،
فلا تبدو بيضاء .
كذلك بَشَرة الفلاح الكادح وسط العراء
– يفلح الأرض بمحراثه المقوس ، ومسحاته الثقيلة –
لا تبقى بيضاء .
وأنت أيها الرياضي ،
يَا مَنْ تسعى إلى أن يتوّج إكليل الزيتون جبينك ،
من الخِزْي أن يكون جسدك أبيض .
أما شحوب البَشَرة فلا يكون لغير العشاق ،
هذا هو لونُهم المعهود والخليق بهم .
ما أحمق القائل بأن شحوب البَشَرة لا يُعين العشاقَ !
نَعِمَ أوريون الشاحبُ الوجه بفتيات غابات ديركي[٥١] ،
ودافنيس[٥٢] بشحوبه ،
لم ترفضه غير حورية واحدة [حين خانها] .
وليكن الهزال هو الدليل على مشاعرك كذلك .
لا تظنّنك تحجب خزيا
حين تحجب خصلات شعرك تحت قلنسوة ،
فليالي السُّهاد كفيلةٌ
ببث السقم في أجساد العشاق ،
كما يبث فيها الجوى المشبوب ، القلق والشجن .
ولكي تبلغ ما تصبو إليه ،
تظاهر بأنك جديرٌ بالإشفاق عليك ،
حتى يقول لك من يصادفك : « لأنت عاشق مُعَنًّى » .
ماذا تُراني فاعلا ؟
هل أُعلن على الملأ ، أم أهمس في الآذان ،

أن الصّواب والخطأ في هذي الأمور يمتزجان ؟
ليست الصداقة إلاّ اسما ،
والثقة لفظ أجوف .
واآسفاه !
ليس من الأمان أن تمتدح محبوبتك لصديقك .
فهو لا يكاد يقف على أوصافها ،
حتى يتسلّل ليحتل مكانك .
قد تقول إن پاتروكلوس بن أكتور[٥٣] لم يدنس فراش صديقه أخيل،
وأن فايدرا كانت عفّة ـ على الأقل ـ في علاقتها بپيريثوس .[٥٤]
وقد تردف بقولك ،
أن پيلاديس أحب هيرميونيه الحب الطاهر[٥٥] ،
الحب نفسه الذي حمله فويبوس لشقيقته پالاس ،
والتوأمان كاستور وپوللكس لشقيقتهما هيلينا .
ولكني أقول لك :
إذا كان هناك من يحلم بهذا الأمل ،
فدعه يأمل أن تُثمر شجرة الطرفاء تفاحا ،
ودعه يبحث عن الشّهد في مجرى النهر .
واآسفاه ،
ما لنا لا نُعْجَب إلا بما هو مخزٍ ،
فالمرء لا يعبأ بغير متعته ،
آهٍ من الإثم وآثاره ،
فما أغنى العاشق عن أن يكون له غريم .
أُهجر حتى أولئك اللذين تثق في وفائهم ،
تأمن .
واحذر قريبك وأخاك ، ونديمك ،
انهم واخجلاه مكمن الخطر !

كنت أهمّ بأن أختم حديثي ،
غير أن النساء قُلّب ،
فلا مهرب من أن تتزوّد بألف وسيلة
كي تقوى على مواجهة هذا الحشد من الأنماط المختلفة .
فالحقول لا تتماثل عطاء .
هذا يُنتج كَرْماً وذاك يُغلُّ زيتونا ،
وهنا تنمو الحنطة بوفرة .
وكذلك تتباين أنماط القلوب
بعدد ما في العالم من أشكال .
الحكيم هو من يكيّف نفسه وَفق المواقف التي لا تُحصى ،
وله أسوة في پروتيوس ، الذي كان يتشكّل كيف شاء ،
تارة موجا ، أو أسدا ،
وتارة شجرة أو خنزيراً برّيا فظا .
ونحن نصيد السمك هنا بالرمح ، وهناك بالشِّص ،
وفي مكان آخر نصيده بالحبال المشدودة
في الشبّاك البعيدة الغور .
والحِيل لا تتطابق في كل العصور .
الوعل الناضج يلمح الفخَ من بُعْد بعيد .
وإذا زهوت بثقافتك أمام امرأة محدودة العلم ،
أو تماجنت أمام امرأة محتشمة ،
اهتزت ثقتها بنفسها ، وأصبحت مثار العطف والشفقة .
وكم من امرأة ترددت خوفا من أن تهب نفسها لعاشق مهذّب ،
وارتمت في أحضان وغد خسيس .

*** *** ***

لقد انتهيت الآن من جزء مما أقدمت عليه ،
وآن لنا أن نُلقي المرساة هنا ،
ليركن قاربنا إلى الراحة قليلا .

*** *** ***



الكتاب الثاني

غَنِّ يا فتى " النصر لنا " ،
وَرَدِّد " النصر لنا "،
فقد وقعت مَن كنت أطاردها
فريسة في شراكي .
وليتوّج بإكليل الغار جبيني ،
من أسعده العشق .
وَليرفعني فوق مرتبة هسيود شاعرٍ أسكرا ،
وهوميروس الضرير، حكيم مايونيا العجوز !





غنّ يا فتى « النصر لنا » ،
وردّد « النصر لنا » ،
فقد وقعت من كنت أطاردها
فريسة في شراكي .
وليتوّج بإكليل الغارجبيني ،
من أسعده العشق .
وليرفعني فوق مرتبة هسيود شاعر أسكرا ،
وهوميروس الضرير ، حكيم مايونيا العجوز.[1]

عاد ابن پريام بعروسه المخطوفة
من شواطئ أميكلاي موطن المحاربين ،
ناشرا أشرعته الناصعة .
وكذلك يا هيپوداميا ، حملك عريسك في مركبته الفائزة

بعيداً عن ثرى وطنك[٢] .
فيم العجلةُ يا فتى
وشراعك ما زال يشقّ الريح
وسط البحر المبسوط ،
والمرفأ الذي أحاول دفعك صوبه
لا يزال بعيدا كل البعد ؟
حسبي أن نشيدي ألقي بفتاة أحلامك بين ذراعيك .
حقاً قد علّمك فني كيف تفوز بها ،
ولكن عليك أن تأخذ عنه كيف تستبقيها في كنفك .
للغزو روعة ،
وأروع منه أن تحتفظ بِكَسْبِك .
في الأولى قد يلعب الحظ دورا ،
أما في الثانية ، فلا معدى لك عن الحذق والمهارة .
أي إلهة كيثيرا (ڤينوس)
أنتِ وابنك إيروس (كيوپيد)
وأنتِ أيضا يا إيراتو
يا من أُشتق اسمُها من الحب ذاته[٣] ،
أمرٌ جلل يُشْغل بالي اليوم ،
فأمدّوني ـ كرماً منكم ـ بعونكم .
لأجْلونّ لكم بفني ،
كيف نقهر الحب على أن يَثْبُت .
الحب ! ذاك الفتى الهائم في رحاب الكون
فتى قُلّب ،
بجناحيه يحلّق ، يُفلت ،
عصيّ كبح جماحه .

***　　***　　***

ولكم حاول مينوس عبثا
أن يتصدّى لضيفه الغريب
حتى لا يُفْلت منه[4] .
لكن ذاك الضيف ،
بجناحيه الجريئين
وجد إلى الهرب طريقه .
فبعد أن أوْدع في السجن
ذاك الوحش [المينوطور]
نصف الإنسان ونصف الثور ،
حدّث دايدالوس مينوس وقال :
« أي مينوس
يا أعدل الملوك
أما لمنفاي هذا من آخر ،
أما آن لرماد جسدي أن يُردّ إلى تراب وطن آبائي ؟
إن كانت الأقدار قد قست عليّ ،
حرمتني الحياة في وطني ،
فهل تضنّ عليّ أن ألتي حتفي فيه ؟
وإن بخست جميلي حقّه ، وهُنْتُ عليك ،
فهل تمنح إيكاروس ابني أوبته ؟
وان لم تأخذك الشفقة به ، هلاّ منحتها لأبيه ؟ »
هكذا توسّل دايدالوس .
وكم حاول بعباراته أن يمسّ قلب مينوس فيرقّ .
لكن لا جدوى .
ولما أدرك دايدالوس أن استعطافه عبث ،
ناجى نفسه :
« والآن ، الآن يا دايدالوس

لن يُجْدِيك القولُ فتيلا .
فلتتوسل بتوقّد ذهنك .
ها هوذا مينوس قد مَلَك البرّ والبحرَ معا ،
فهروبك برا أوبحرا لن ينجح .
لم يبق أمامي إلاّ الجو.
فلأجهدنّ ، لأشقّ في الفضاء طريقا .
أيا چوپيتر ناشدتك يا أسمى الآلهة
أن تغفرلي جرأة مسعاي ،
فما داربخَلَدي أن ألمس بين النجوم إحدى ديارك .
ما لي من حيلة
إلا أن أتخذ في الجوطريقي ،
لأفرّ فرارا من ذاك الطاغية .
ولوكنت أتحتَ طريقاً لي في نهرستيكس ،
لعبرت مياهه .
هبْني القدرة على أن أسنّ قوانين جديدة
لأغيّر من أحكام أَسَرَتْني وُطُبعتُ عليها ،
ولأُبدع أحكاماً أخرى » .
كم من كارثة فتقت أذهان الناس عن حِيلٍ مبتكرة .
أَوَ يمكن أن نعقل أن الإنسان يطير ! !
دايدالوس صفّ الريش ، في أبرع صورة ،
وابتكر جناحين كمِجْدافين ،
وثبّت هذا التكوين الهش ، بخيوط من تيل ،
ثم أسال الشمع المذاب على الأطراف لتتماسك .
أنظر ، ما أعجب هذا الخلق !
لقد اكتمل كيانه .
وبهت وجه إيكاروس دهشا ،

إذ ربت على الريش ،
لا يدري أن العُدّة قد صيغت لتُثبّت في كتفيه .
وقال أبوه « أنظر هاك سفيني عليها نُقلع ،
ونعود إلى أرضٍ جئنا منها .
سنفرّ بها من مينوس
إذ قد سُدّت الطرقات جميعا ،
فليس لنا إلاّ الجوسبيلا .
خذ صنع يدي هذا
واجهد أن تعلو في الجو ،
وستنجح حتما .
لكن حذار من برج العذراء ،
وكوكبة الجبار حامل السيف
رفيق راعي الشاء .
غُض الطرف ولا تنظر في إحداها واتبعني .
سأكون القائد والهادي ،
فلتمض في إثري غير هيّاب ،
ولتصلنّ بإرشادي في أمنٍ كامل .
واحذر أن تقترب من الشمس
فقد ينفد صبر الشمع ، أمام توهّجها .
لن ندنو بجناحينا من سطح البحر
وإلاّ لابتل الريش بزبد الموج .
طِرْ بين الإثنين ،
وخُذ حذرك من ريح منطلقة ،
فإن حملتك الأنسام ،
انشر في التيار جناحيك لتدفعهما .
وثبّت دايدالوس صُنع يديه على كتفي ولده

وهو يعيد عليه نصائحه ،
ويعلّمه كيف يحرّكها
كطائر أم تدرّب فرخها الغضّ على الطيران .
والتفت فربط إلى كتفيه جناحيه ،
وأخذ يوازن جسمه
في حرص ،
في لهفة وترقّب .
يكاد أن ينخلع فؤاده ،
والدمعة في عينيه تُطلّ فيعجز عن أن يحبسها .
وثمة تل يشخص عن قُرب ،
يكاد يداني الجبل شموخاً ،
ويشرف من أعلى فوق السهل .
صَعَدا ، وانطلقا من قمته
في رحلة واكبها الشؤم .
الرحلة بدأت في بهجة ،
وتقدم دايدالوس يخفق بجناحيه ،
ينظر من خلف يتابع حركة إيكاروس ،
يقفو إثر أبيه في الخط المرسوم .
وحين ازداد إيكاروس قدرة ومهارة زايله الخوف ،
فانطلق جسورا .
ها هو ذا أحد الناس يصيد بشصٍّ في يده .
وإذ لمحهما أذهله العجب ،
فانفلت الخيطُ من يده اليمنى !
ها هي ذي جزيرة صاموس عن يسارهما ،
بعد أن عبرا جزيرتي ناكسوس وپاروس ،
كما مرّا بديلوس التي آثرها أپوللو .

وها هي ذي جزر ليبنثوس وكاليمنا ،
تكسوها الغابات ، يُغَشِّيها الظل ،
تبدو لهما عن يَمْنة ،
واستيباليا تحضنها بحار غامرة بالأسماك .
استيقظ عندئذ في قلب الفتى نزق الشباب ،
وجَرُؤ فحاد عن مسار أبيه ،
وانطلق إلى أعلى ، أعلى ،
ودنا من رب الشمس ،
فذاب الشمع وانفكّ رباط الريش ،
وأصاب الوهن ذراعيه .
أصبحتا عاجزتين عن السيطرة ،
حتى على النسيم العليل .
وتطلّع فزعا
نحو الماء ، يتراءى له من أسفل ،
وهو هناك يترنح في تيه الأجواء ،
وكان طوفان العتمة قد غمّي على عينيه فأظلمتا رعباً .
ذاب الشمع ، ودبّت بذراعيه العاريتين الرِّعدة ،
وهو يمدّهما ويحاول أن يستند ، ولا جدوى .
لا شيءُ يستند إليه .
وهَوَى من حالق ، وهو يصيح :
« أبتاه .. أبتاه .. إني أنحدر بعيدا » .
والماء الأخضر ، يبتلع الكلمات ،
لا تكاد تتناثر من فمه حتى يطويها إلى الأبد .
« إيكاروس ، إيكاروس .
ولدي
أين تُراك الآن يا ولدي ؟

أي جَوْزٍ في أجواز الفضاء يحتويك ؟ »
وبينا كان ينادي ملتاعا ،
لمح نثار الريش على سطح الماء .
وما لبثت الأرض أن ضمت رفات الشاب ،
وغدت مياه البحر تحمل اسمه .

***　***　***

مينوس [بجلاله] ،
أخفق في أن يتحكّم بجناحي إنسان ،
بينا أنا أدبّر أمري
لأُمسك بالإله المجنّح نفسه .
كم يخدع نفسه من يلجأ إلى فنون هايمونيا[6] ،
فيُغْلب على أمره .
لن يجديك ما تنتزعه من جبين المُهْر .[7]
وكذلك أعشاب ميديا ، تعجز أبدا
عن الإبقاء على الحب نابضا .
ومُحال على عوذات جبال مارس[8] ،
أن تحقّق ذلك حتى لو آزرتها أنغام السحر .
وإلاّ لاحتفظت ميديا بجاسون بن آيسون ،
وكيركي بأوديسيوس ،
لو جاز الحفاظ على الحب بالتعاويذ وحدها .



سلوطز : سقوط إيكاروس .
بإذن من متحف اللوفر

لن تفيدك العقاقير التي تورث الشحوب ،
حتى لو أُسْقِيتَها الفتيات ،
فقد تشوب العقلَ وتورثه مسّا .
فلتجنّبني كل فعل آثم .
كن جديرا بالحب إن شئت أن تغد محبوبا ،
ولن تبلغ مأربك بالوجه الوسيم والقوام الرشيق فحسب ،
حتى لوكنت نيريوس الذي عشقه هوميروس في قديم الزمان ،[9]
أو الصبي هيلاس الذي اختطفته حوريات الماء الشريرات .[10]
كن على ثقة بأنك لن تحتفظ بعشيقتك ،
إن لم تُضِف هبة العقل إلى ميزات جسدك ،
وإلاّ فلا تعجب إن وجدت نفسك مهجورا من أجل فتى آخر .
الجمال ميزة هشّة تخبو على مرّ الزمن ،
ويأتي عليه تعاقب السنين .
فالبنفسج لا يزدهر إلى الأبد ،
والزنبق لا يفترّ بالبسمة دوما ،
والوردة إذ تذبل ، تخلّف الشوك الشائك .
وعمّا قريب أيها الشاب الوسيم ،
يكسو الشعر الأشهب رأسك .
وأكثر من ذلك قربا ستخدّد التجاعيدُ بَشَرتك .
إذن فأَبْدع لنفسك روحا مشرقة صِنْواً لجمالك .
فهي وحدها تبقى بجوارك ،
حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة .
واحرص على إنماء عقلك بالفنون والآداب ،
ولا تجعلها في مرتبة أدنى .
ولا يفوتنّك علم اللغتين[11] على الوجه الأكمل .
فما كان أوديسيوس وسيماً ، لكنه كان بليغا ،

فاشتعلت في قلب اثنتين من ربّات البحر
نيران هواه .
آه ، كم حزنت كاليبسو لتعجّله فراقها ،
وكم حذّرته المياه ،
إذ كانت غير مواتية ،
تستعصي على مجدافه !
وكم من مرة ، استعادته مستفسرة عن مصير طروادة ،
سائلة إياه أن يروي لها قصتها .
وكم من مرة أعاد على مسمعها القصة نفسها ،
لكن بعبارات مختلفة .
وسويّا وقفا عند الشاطئ .
وفي المكان ذاته أخذت كاليبسو
تتساءل عن المصير القاسي الذي حاق بقائد الأودريسيين[12] .
وحرّك أوديسيوس عصا خفيفة
[شاءت الأقدار أن يكون ممسكاً بها وقتئذ] ،
ورسم بها على الرمل اللين أحداث القصة :
خطّ أسوار مدينة وقال :
« ها هنا طروادة ،
هَبي هذا جدول سيمومويس[13] ،
وتخيّلي أن ذاك معسكري
[وأخذ يرسم سهلا] .
ثمة سهل ملطخ بدماء دولون المسفوحة بأيدينا ،
بينا كان هنالك يترقب جياد هايمونيا مشوقا لأسرها .
وهناك خيام ريزوس السيثوني [الطراقي] .
في تلك الليلة امتطيت الجياد التي غنمتها »
[وبينا كان يصوّر ويقصّ

فاجأتهما موجة
طمست قلعة پرجاما ومعسكر الطراقيين
وفيهما قائدهم ريزوس]
فتمتمت الإلهة كاليپسو قائلة :
« ألا تُرى إلى تلك المياه تحسبها مواتية لإبحارك ؟
لَتَمْحُونَّكَ كما مَحَتْ
هذه الأسماء العظيمة ؟ »

***　　***　　***

أي مريدي .
هلّم معي إذن كائنا من كنت .
وحذار من الثقة بجمال يغدربك فيزول عنك .
ولتحرز في باطنك ،
ما يسمو فوق ظاهرك .
وخير ما يستميل الفؤاد تدليلٌ في فطنة ،
فقول خشن لا يورث غير الكراهية والحرب الضروس .
نُبغض الصقر لأنه يحيا شاكي السلاح ،
كما نكره الذئاب لأنها تنقض على القطيع المذعور ،
بينا أفلت طائر الخطّاف[14] من قنص الإنسان لوداعته ،
وطير خاوونيا[15] يلوذ بالأبراج العالية يعشّش فيها .
تبّاً لك أيتها المشاجرات والمهاترات المرِّيرة ،

فالحب لا ينمو بغير ناعم الكلم .
دعوا الزوجات يطاردن أزواجهن بالشجار والمشاحنة ،
وخلّوا الأزواج يطاردون زوجاتهم بالسلاح نفسه ،
وعدوا الزّوجين في عراك مستمر .
هذا أحرى بالزوجات ،
فمَهْرُ الزوجة شجار .
أما عشيقتك ،
فلا تُسمعها إلاّ صوتا حلواً بالتدليل والترحيب .
ما جمعكما فوق فراش واحد أمر مشروع ،
فعشقكما يقوم مقام الشرع .
اسع إليها بلطيف القول تمتلك مجامع سمعها ،
ويُمسي مجيئك وتر الفرح لديها .

* * *   * * *   * * *

ما أتيت أُلقّن الأثرياء فن الهوى ،
فالقادر على أن يُعطي في غِنى عن فنّي .
ومن يملك أن يجذب إعجاب المرأة قائلا :
« إقبلي هذا مني »
لا شك أنه على حظ وافر من القدرة ،
أخلّي له الميدان ،

فهو في غير عوز لنصحي .
وما قصدت بحيلي التي أبسطها
خدمة الأثرياء ،
فأنا شاعر الفقراء .
كنت فقيراً حين كنت من العشاق ،
ولإخفاقي في منح الهدايا كنتُ أمنحُ الكلمات .
فليعشق الفقير بحرص ، وليتجنب خشنَ القول ،
وليتحمّل فوق ما يتحمله ثري .
أذْكُر لحظة شوّشتُ شعرَ حبيبتي ،
وكانت لحظة غضب أهوج ،
وكم من يوم سلبني ذاك الغضب سعادتي ! .
ما كان أشد عناد أتالانتا النوناكريسية [الأركادية]
ورغم صرامتها ، استسلمت لأحد الأبطال[١٦] .
ويُروى أن ميلانيون
كان يبكي من قبل مصيره في ظل الأشجار
يتأسّى لقسوة قلب المحبوبة .
وما أكثر ما حمل على عاتقه المِطواع
شراك الصيد ليُرضيها ،
وما أكثر ما طعن الخنزير البرّي الرهيب
برمحه المسدّد .
وقد أحس ميلانيون بجرح السهم
[الذي قذفه به القنطور هيلايوس من قوسه] ،
إلا أن جرح سهم آخر من قوس أخرى
هو الذي أوجعه حقا[١٧] .
ومع هذا كله ،
لم أذكر ، بل لم ألحظ ، أني مزّقت قميصها .

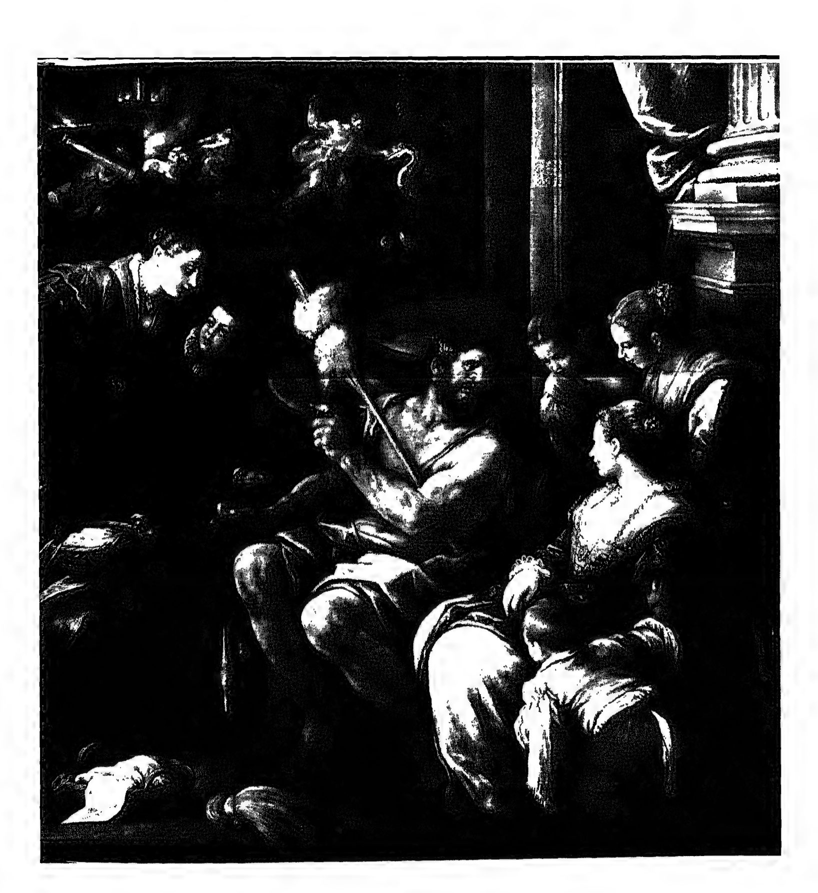
ولكنها زعمت أني مزّقته ،
فاشتريت لها آخرَ من مالي .
أما أنت فكن أكثر حكمة ،
وتجنّب أخطاء معلّمك .
خُض معركتك ضد البارت
إن شئت ،
ولكن عش مع عشيقة مهذبة
في ظل سلام وارف ،
وكل ما يبعث في الحب مرحا وإثارة .

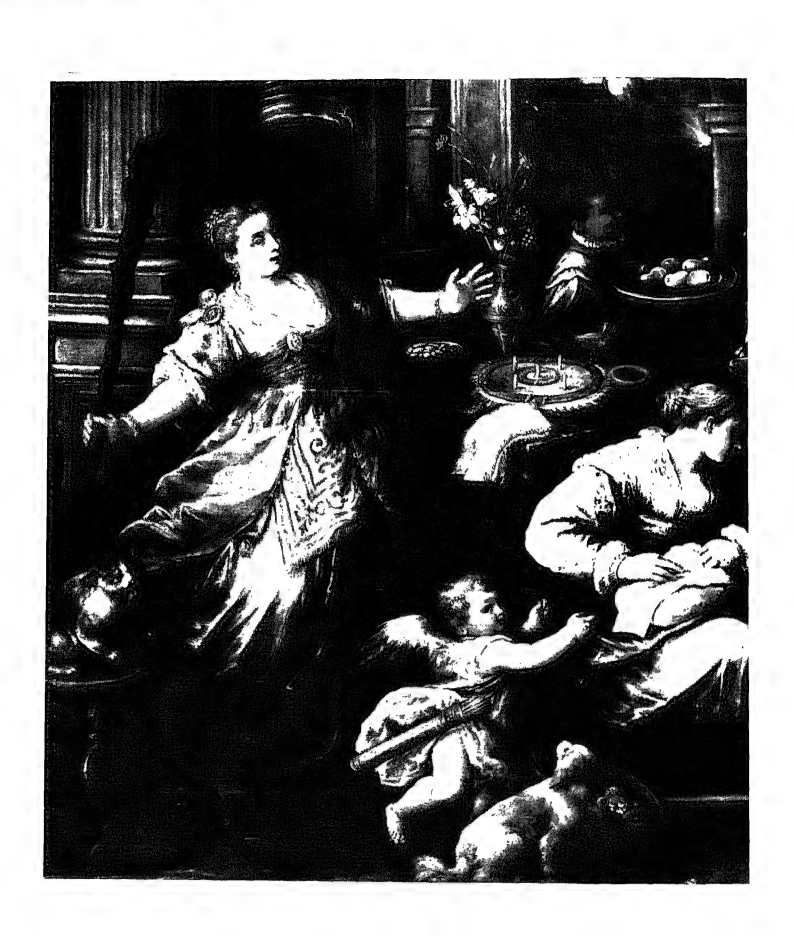
*** *** ***

إن رأيتهامُعْرضةً عن غزلك ،
فليكن قرارك حازما
وزِدْ إلحاحا ،
وسيأتي يومٌ تظفر فيه برضاها .
فباللّين يميل لك الغصن المعوجّ
عن اتجاه جذع الشجرة ،
بينا ينقصم لو أخذته بالقوة .
وباللّين تقوى على أن تسبح في الماء ،
بينا تعجز عن قهر النهر

لوسبحت ضد التيار .
وباللّين تُروض النمور وأسود نوميديا [ليبيا] .
ورويدا يتطامن الثورُ لنير المحراث .
أنا لا آمرك بأن تحمل أسلحة القنص ،
أو أن تتسلّق جبل ماينالوس[18] ،
أو أن تحمل على عاتقك شراك الصيد ،
ولا آمرك بأن تعرّض صدرك لرشق السهام ،
فبادئ فنّي المتسم بالحرص يسيرة :
إذا قاومتك فتاتك فاخضع لرغبتها ،
فخضوعك سبيلك إلى النصر .
وافعل ما تطالبك أن تفعله
إذا ذمّت ذُم ،
وإن قرّظت فقرّظ ،
وإذا أقرّت فأَقِرّ ،
وإن نفت فانف ،
ومتى ضحكت فاضحك معها ،
ولا تنس أن تبكي إن هي بكت .
ودعها تطبع قسمات وجهك بمزاجها .
لو انخرطت في لعب الميسر
تُلقي الزّهر العاجي بيدها ،
فاحرص على أن ترمي زهرك ، واخسر .
وإذا كنت تلعب معها « بالنرد الأكبر » ،
فلا تطالبها بغُرم لو خسرت .
ولا تَعْدِل عن أن يكون رمي الكلاب [الخاسر عند الرومان]
من نصيبك دائماً .
وإذا كان تفوّقك هو لعبة اللصوص [الشطرنج عند الرومان] ،

فلا تنس أن تدع عساكرها
تبيد عساكرك فوق الرقعة .
بادرواحمل مظلتها عنها ،
وشُق لها طريقا وسط الزحام ،
واحمل تُكأة قدميها ،
وضعها أسفل حافة سريرها
كي تعينها على الهبوط .
وسارع إلى وضع قدميها الرقيقتين في الخُفِّ ،
وكن أول من يخلعه .
وإن شكت بردا
فأدفئ كفّها في صدرك
ولوارتجفتَ بردا .
ولا تحسبها ذِلّة أن تحمل المرآة لها بيدك ،
يا من وُلدت حُراً لا رقيقا
[هي ذلّة حقا ولكنها ذلّة تدخل عليك البهجة] .
فهرقل ، ذلك البطل الذي ظَفِر بالتأليه
بعد أن حمل الطبقات السماوية على عاتقيه ،
يُحكي عنه أنه حمل سلاّت الخيط لفتيات أيونيا ،
ويحكى أيضاً أنه غزل الصوف الخام .[19]
ها هوذا هرقل البطل التيرينثي
رهن إشارة آسرة فؤاده .
فهل تتردد أنت في تحمّل ما احتمل ؟ .
إذا استدعتك ،
أسرع بلقائها في الفورم ،
وليكن وصولك قبل الموعد .
هل طَلَبَتْ أن تلقاها في مكان ما ؟





باسانو : هرقل وأومفالوس .
بإذن من متحف تاريخ الفن بڤيينا

إذن فلتهجر ما يُلهيك وَهَرْول ،
ولا تدع الزحام يعرقل عَدْوك .
لتؤوبن هي إلى دارها ليلا بعد الوليمة ،
فإن نادت عبدها ،
فلتكن ملبّى النداء .
هَبْك في الريف بعيدا ، ونادتك .
إلى ساقيك فاعمد ،
إذا لم تُسعفك المركبات ،
فالحب عدو التراخي ،
ولا يعرقل مسعاك القيظُ ،
ولا كوكبة الكلب باعثة الظمأ ،

***   ***   ***

الحبُّ حربٌ ،
فابتعدوا أيها الضعاف المتقاعسون .
ما ارتفعت ألويتنا ، كي يذود عنها الجبناء .
فالليل والعاصفة والترحال الطويل ،
والعذاب القاسي ، وكل ألوان الكدّ والعناء ،
تحتل هذا المعسكر الرقيق اللطيف .
وكثيراً ما ترى نفسك فيه مغموراً بالأمطار المنهمرة
من السحب الذائبة في السموات .
وكثيراً ما تستلقي مقرورا فوق الأرض الجرداء

يُروى أن أبوللو اضطر إلى أن يرعى قطعان أدميتوس[20] ملك فيراي ،
وأنه قنع بكوخ متداع يأوى إليه ،
ومَنْ منا يستنكر أن يحيا مثل أبوللو؟
لو تُقت إلى أن تحيا قصة حب تطول وتعمُق ،
فلتطرح الكبريـاء .
فإذا حرمتك الأقدار الطريق السوي إلى قلب فاتنتك ،
أو ألفيت بابها موصدا في وجهك ،
فاهبط إليها من السقف ،
وانفذ من خلال الكُوّة .
وسيُسْعدها فِعْلُك ،
إذ تعلم أنك خُضت مصاعب جمة ،
ذلك عربون تضمن به حبك .
ما كان أيسر لك يا لياندر[21]
أن تحتمل هجران عشيقتك
لكنك خُضت أمواج المحيط سباحة
برهانا على أن قلبك قلبُ صبٍّ مدلَّه .
لا يحمرّ وجهك خجلا ،
وأنت تحاول كسب ولاء وصيفاتها
الواحدة تلو الأخرى ،
من أعلاهن شأنا حتى أهون الإماء .
حيِّ كُلاًّ باسمها ، فلن تخسر شيئا ،
بل ابسط كفّك تحتضن أكفّهن الهيّنة المنبت .
ولتمنح أيها المحب الطموح حتى العَبْدَ هدية ،
مهما صَغُرت في عيد الربة فورتونا إن مدّ إليك يدا ،
فما أيسر إرضاءه .
وكذلك فلتمنح الوصيفة هبة في عيد جونوكابروتينا ،

وهواليوم الذي ذاق فيه جيش الغال
مرارة الهزيمة حين خدعتهم ثياب الزفاف[٢٢]
صدّقني إن الخير في كسب ولاء البسطاء .
اجتذب حارس الباب إلى جانبك ،
وفُزْ بطاعة حارس حجرة نومها لك .
لا أدعوك إلى أن تمنح فاتنتك هدايا نفيسة .
فلتكن هداياك يسيرة ،
اخترها بذكاء وحكمة .
فإذا كانت ضيعتك خصبة
وفروع أشجارها مثقلة بثمارها ،
أوفد عبدك ، بسلال من بواكير المحصول ،
يبسطها بين يديها .
وان كنت بلا ضيعة ،
ادّع أنك صاحب ضيعة ،
جاءتك الفاكهة منها ،
ولوأنك في الحق شاريها
من فاكهيّ « بالطريق المقدس » بروما .
أرسل لها العنب أوالكستناء
« التي ولعت بها أماريلليس[٢٣] »
وإذا سئمت فاتنتك الكستناء ،
فأهدي إليها حمامة أوعندليبا تأنس به ،
يذكّرها بأنك مهموم دوْماً بهواها .
ويقيني أن مثل هذه الهدايا
يرسلها أيضا من يأمل في ميراث عجوزعجفاء ،
لكني أستنكرهذا النوع من الكرم الوضيع .
هل أنصحك بأن ترسل أشعارا عاطفية ؟

واآسفاه ،
فالشعر عظيم ،
لكن لن يَلْقي ما يليق به .
قد تمتدح قصيدك !
لكن أثمن ما تنشده ، هو ما تهديه إليها .
فلا تعجب إن نال الهمجي الأحمق
إعجاب فتاتك ما دام غنيا .
العصرُ يقينا عصرُ الذهب .
الذهبُ أبو الألقاب ،
هو الفائز بالحب .
أي هوميروس
إن جئت وفي أعقابك ربات الفن جميعا دون هدية
فلتعزب عنا يا هوميروس .
ومع ذلك منهن من يتثقفن وإن كن نُدْرة ،
ومنهن من لم يتعلمن ، ويحاولن التظاهر بالعلم .
عليك بمدح كلا الفريقين ، في قصيدك .
ولا تجزع لضحالة شعرك ،
فجمال الإلقاء يحيله في آذانهن تغريدا ،
حسناً أو ممجوجاً كان قريضك .
إلقاؤك هو ما يجذب أسماع المرأة .
أفضل ما يُطربها في شعرك
فتراه عطاء منك مهما عدّته ضئيلا ،
هو أنك تَنْظِمُ فيها الشِّعر دون سواها .
قد تُضمر أن تمنحها خدمة ،
فتراخ إلى أن تطلبها منك .
هبْ مثلاً أنك عزمت على أن تعتق عبداً لك ،

فأوعز له أن يسعى إليها
كي تتوسط لديك لتحريره .
وإذا شئت الغفران عن عبد مذنب ،
فدبّر أمرك كي تغدو هي مصدر هذا الغفران .
اجعلها تجني دوما ثمرة ما تنوي عمله ،
وامنحها فضل فعال الخير التي تؤديها أنت .
هيئ لها الفرصة كي تبدو هي ذات السلطان عليك .
وإذا كنت شغوفا باستبقاء عشيقتك ،
أوهمها أنك مفتون بجمالها .
إذا ارتدت ثوبا من أرجوان صور ،
قل : « ما فاق أرجوان صور شيءْ » .
وإن لبست ثوباً من نسيج كوس ،
فلتقل إن في أزياء كوس وحدها الرونق الممتع .
هل تلبس فاتنتك رداء ذهبياً ؟
إذن قل لها إنها عندك أغلى من الذهب .
وإذا ارتدت ثيابا من صوف ،
فأَغْرِق في الثناء على الصوف .
وإذا وقفت أمامك عارية إلاّ من قميصها ،
صِحْ : « لأنتِ تُشعلين النار في جسدي » !
ولكن فلتضرع أيضا في همس ،
أن تحذر من برد يؤذي جسدها .
هب أنها تصفّف شعرها ،
فبادر بمديحه .
أو تسوّي بالمكواة جدائلها
فلْتُطر تلك الجدائل .
عبّر عن اعجابك بذراعيها

وهي تلّوح بهما راقصة ،
وأشِدْ برخامة صوتها وهي تغني .
وإذا كفّت عن الغناء تحسّر .
ولو أتاحت لك مشاركتها فراشها ،
فأطنب في امتداح هذا الفراش .
وبصوت يرتجف تأثراً قُل :
« ما أحلى الفردوس الذي أعددتِ لي في قُربك » .
ساعتها لوكانت أكثر عنفا من ميدوسا الوحشية ،[٢٤]
لغدت هادئة طيّعة بين يديك .
أُطالبك ألاَّ يفتضح رياؤك ،
أو تخون نظراتُك كلماتِك .
فحين يستتر فنُّك يغدو ناجعا .
وإن كَشَفَتْ هي عن مكنونه جرّ عليك العار ،
وسلبك ثقتها إلى الأبد .
وفي الخريف عندما يبلغ الموسم ذِرْوةَ جماله ،
ويميل لون العنب إلى حُمرة ما يحويه من نبيذ ،
في ذاك الوقت
الذي قد نتجمد فيه حينا من البرد ،
ونذوب فيه من القيظ حيناً آخر ،
ما أكثر ما يخمد الجسد في ذلك الجو المتقلب ،
فلتتمنّ أن ترعى عشيقتك صحتها .
وإن حدث وأصابتها وعكة من تقلبات الطقس ،
أفصح لفتاتك عن حبك وحنانك .
واغنم سانحة ،
وابذر ما ستحصده ـ فيما بعدُ ـ بمنجلك بوفرة .
وحذار أن تضيق ذَرعا بمرض حبيبتك أو تَبَرّم .

ولتكن كفُّك وحدَها هي التي تهدهدها .
ولتلمحك حين تبكي ،
ولا تَملَّ الإفراط في تقبيلها .
أطلق عبرات يشربها فمها الظامئ .
ارفع صوتك مرات مُقسماً بهواك لها . .
لا تتردد في قص أحلامك البهيجة عليها ،
كي تملأ قلبها أملا .
وارسل لها امرأة عجوزا تَطُوف حول فراشها بالمِبْخرة ،
تُطّهر مضجعها بالدخان الكبريتي وبالبيض .[٢٥]
لو بلغت في سعيك هذا المبلغ لاسْتَيْقَنَتْ من حبك .
فكم أدّى هذا الأسلوب إلى الفوز بميراث .
ولا تسرف في الاهتمام بمريضتك حتى لا تسأمك ،
فللنفاق حدود أيضا .
ولا تمنع عنها الطعام ،
ولا تناولها كئوس العقاقير المُرّة ،
ودع هذا لغريم .
ثم إن الريح التي دفعتك
ساعة خلّفت الشاطئ وأخذت في نشر شراعك ،

كارافاچيو : ميدوسا .
بإذن من متحف اوفيتزي بفلورنسا



لن تكون هي الريح التي ستدفعك وسط البحر الشاسع
إن الحب رهيف هشٌّ ساعة مولِده .
لا يشتد بغير ممارسة واعية بالخبرة .
اختر بعناية نوع غذائه ،
وسيصبح بمرور الزمن قويا .
خذ مثلا ذاك الثور الذي يملؤك اليومَ رُعبا .
في الماضي كم ربتَّ أنت على ظهره ،
أيام كان عِجلا صغيرا .
وهذي الشجرة التي تحتمي اليوم في ظلها ،
كانت فيما سلف عُودا فحسب .
والنهر الطاغي فيضهُ ،
لم يك غير جدول نحيل عند المنبع ،
والآن ضَخُم بروافد لا تُحصى .
فابذل سعيك في أن تتوثق بينكما الألفة .
صدّقني ، لا يقوى على العادة والألفة شيْ .
وفي سبيل الفوز بقلبها ،
لا تترك أي عناء يُثنيك .
كن دوما منها محطّ السمع والبصر ،
وليطالعها وجهك
آناء الليل وأطراف النهار .
ولكن ما إن تثقْ
أن الوقت قد حان لتشتاقك إن غِبْتَ ،
فأمض عنها قليلا ،
كي يبثّ غيابك في نفسها القلق .
أهجرها آمادا غير طويلة ،
فإن التربة التي تريحها قليلا تزداد خصبا ،

وتمنحك البذور التي تنشرها فيما بعد .
والأرض التي تجفّ فتتشقق ،
تتشرّب الماء نهمة إذا انهمر المطر .
فطالما امتد بقاء ديموفوون إلى جوار فيليس
كان حبها له فاتر .[٢٦]
وما كاد يُبْحرُ إلى بلاده ،
حتى اشتعل حبها له اشتعالا أهلكها .
وحينما هجر أوديسيوس الماكر زوجته پنيلوپي
كابدت عذاب الانتظار والشوق .
كما أنك يا لاوداميا
قد بكيت كثيرا هجر پروتيسيلاوس من آل فيلاكوس .[٢٧]
ومع ذلك فاحرص ، على أن تكون هجرتك قصيرة ،
فالحب يتناقص كلما طال زمن الفراق .
والمحبّ الغائب يفقد مكانه ،
ويحتله محبوب غيره .
حين ارتحل منيلاوس
سئمت هيلينا مضجعها الخالي من الرفيق ،
فنشدت الدفء والسلوى في أحضان أحد ضيوفها .
ويلك يا منيلاوس ما كنت يوما بالغبيّ الأحمق !
كيف أبحرتَ وحدك ،
وخلّفتَ زوجكَ وضيفها معا تحت سقف واحد ؟
أيها المعتوه ، هل تودع يمامة بين مخالب صقر ؟
هل تثق في ذئب الجبال يحرس حظيرة الأغنام ؟
والأفعى التي يدوسها الرحالة خطأ ،
كلاهما أقل افتراسا
من امرأة تفاجئ أخرى في فراش زوجها ،

فيشّوه وجهَها من عنف النقمة .
لحظتها ، قد تقبض على السيف أو على الصاعقة إن قدرت ،
أو أي سلاح في متناول يدها ،
وتتناسى الحيطة ،
وعلى غريمتها تنقض ،
كأنها إحدى كاهنات باكخوس المتوحشات ،
استحثّتها قرون باكخوس الإله الآووني[٢٨] .
لقد ثأرت ميديا الهمجية لخيانة زوجها
وامتهانه شريعة القران ،
فقتلت أطفالها .
وثمة أم أخرى بشعة ،
هي طائر الخطّاف الذي تراه هناك :
تَطَلَّع ... فصدرُها مخضّب بالدماء[٢٩] .
هكذا تتداعى أوثق العلاقات الغرامية ، بل أصلبها عودا .
فليحترس الزوج الحذر
[فلا يثير في عشيقته نوباتٍ طائشةٍ من الغيرة والحقد] .
لا تحسب أني أتمثّل الواعظ المتزمت ،
وأحكم بأن تَقْصُر حُبّك على واحدةٍ !
لا ... وَقَتْكَ الآلهة هذا الشرّ !
فحتى العروس الفتية تعجز عن أن تلتزم
بقصر حبها على رجل واحد .
خذ حظك من المتعة ،
ولكن غشّ خطاياك اليسيرة بقناع من الحشمة ،
فلا تكشف عن سَعْدِك مزهوّاً ،
وحذار أن تمنح امرأة هدية
تَنِمُّ لغيرِها عن مصدرها .

وبدّل مكان اللقاءات وزمانها ،
حتى لا تَفْجَؤكَ أخرى من بين عشيقاتك .
فما كانت هيلينا آثمة ،
ولم يكن الزاني بها آثماً ،
ما أتي غير ما كنت ستأتيه أنت ،
أو أي إنسان آخر
يواجه الموقف عينه .
إنك بنفسك هيأت مناخ الزنا لهما
بتهيئة الزمان والمكان ،
ولم تفعل هي ، إلا ما أوحيتَ أنت به .
أَوَكنت ترقب غير ما كان ؟
الزوجُ غائبٌ ، والضيفُ حاضرٌ ،
وما كان شابا جِلْفاً ،
وهي تَمّل النوم في فراش خال من الرفيق .
فلير منيلاوس بن أتريوس ما يراه ،
أما أنا فأُبّرئ هيلينا من كل لوم .
كل ما فعلته أنها غنمت فرصتها ،
حين لازمها عاشق لا تُعْوِزُه الوسامة .

*** *** ***

الخنزير البري المفترس يصرع كلاب الصيد الواحد تلو الآخر ،
مدافعاً عن حياته في سورة غضبه .
واللبؤة حين تُرضع أشبالها ،
وراجع حين تكتب رسائل الغرام ما دوّنته بعناية ودقة ،
فهناك نساء يفهمن من الرسائل أكثر مما تبغي قوله .
فإن خالَفت شِرْعة ڤينوس ، شنّت عليك حرباً عادلة ،
وردّت لك الكيل بالكيل ،
وأصابتك بآلام عانتها في الماضي ،
حين خرقت هي نفسها شِرْعتها .

** ** **

طالما ظل أجاممنون حفيد أتريوس قانعا بزوجة واحدة ،
صانت عفّتها .
ولكنها اندفعت للعارحين اكتشفت إثمه .
إذ سمعت أن الكاهن خريسيس أمسك بعصاه ،
وربط العِصَابة المقدّسة حول جبينه ،
وأمسك في يده غصن الغار ،
وألحف يتوسل لتعود إليه ابنته ،
وما أجداه توسّله .
وسمعتِ أيضا يا بريزييس عن أسطورة خطفِك ،
وقد أدمى قلبك الحزن ،

كما نُبئتِ بتلك الخصومات المشينة ،
التي من أجلها امتدت الحرب .
ومع ذلك لم يزد ما سمعته على شائعات حملها الرواة إليك .
أما كليتمنسترا فقد رأت بعيني رأسها بنت پريام .
رأت كيف أصبح [أجاممنون] آسرها أسيراً لأسيرته .
لحظتها قررت ابنة تنداريوس
أن يمتلك [عشيقها] إيجيسثوس قلبها وفراشها ،
ودبّرت الثأر الآثم لجريمة زوجها المهينة .[٣٠]

** ** **

إن افتضح أمر غرامياتك المستورة رغم جهودك في اخفائها ،
فتمسّك بالإصرار على إنكار جريمتك .
ولا تسرف في التذللّ ،
ولا تغال في نفاقك ،
فهذي سمة المذنب .
ولا يقصر جهدك مع ذلك عن أن تظفر بسلام يكلّل نصرك ،
إذ تُقْنع عشيقتك بأن لا أصل لِريبتها .
وقد ينصحك البعض بأن تستخدم أعشابا لإثارة « قدرتك » .
ذلك في رأيي سُم مهلك .
وقد تجد البعض يخلط ببذور القرّاص اللاذعة الفلفل ،
والبابونج الأصفر في مسحوق يسكبه في كأس من النبيذ المعتق .

ما ترضى الربة [ڤينوس] ساكنة سفوح جبل إريكس[31] الظليلة ،
أن تُثار فيها نشوتها بمثل هاتيك الحيل .
وخير لك أن تأكل بصل ميجارا الأبيض ،
مدينة ألكاثووس البيلازجي ،
وأن تتناول أيضا بعض الجرجير المالح المقطوف من الحقل لتوّه .
ولك أيضاً أن تلتهم البيض وشَهْدَ جبل هيميتوس ،
والنُّقل وثمرة الصنوبر الشائكة الأوراق .

** ** **

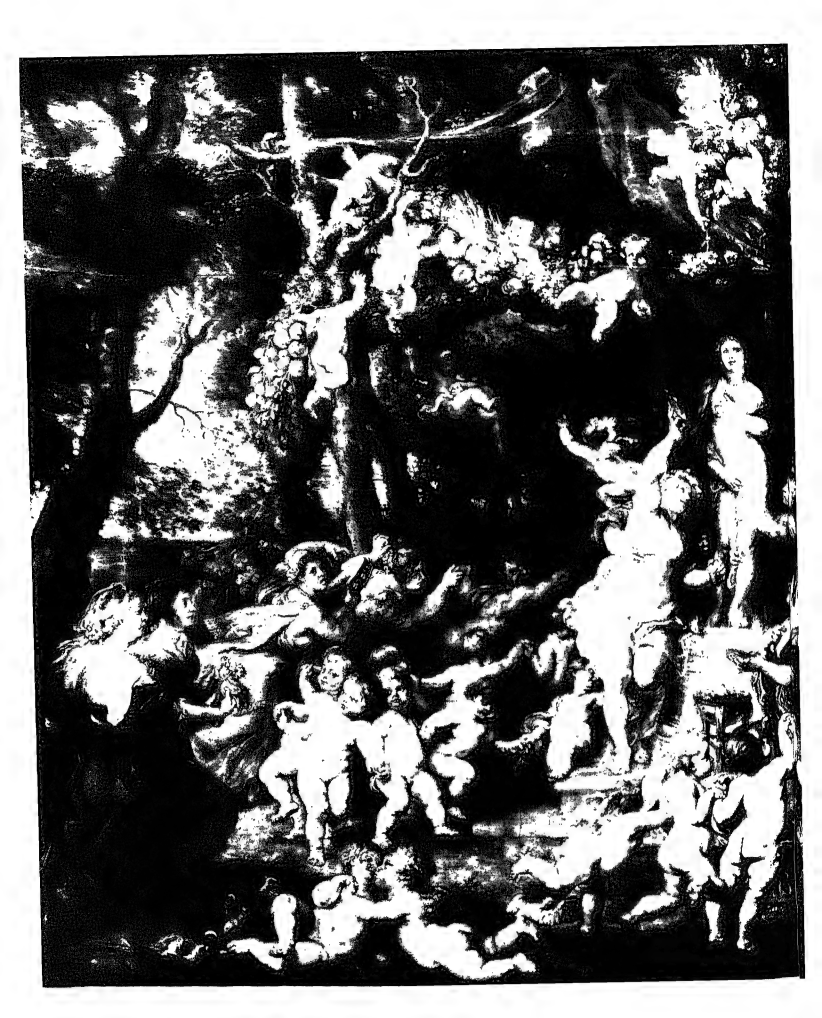
لماذا لجأت إلى فنون السحر يا إيراتو؟
فعلى مركبتي الآن أن ترتد إلى معبرها الأول ،
بعد أن انحرفت عنه قليلا .
فمن لحظة نصحتك بستر خياناتك العاطفية ،
أما الآن فاني أعكس نُصحى ،
وأحدوك بأن تُزهى في كل مكان بغزوات غرامك .
ولا تتهمني بالرأي المتقلّب ،
فلا إخالك تجهل أن السفينة المقوّسة لا تدفعها دوماالريح نفسها
فها هي ذي الفُلك تدفعها حينا ريح الشمال الطراقية ،
وحينا آخر ريح الشرق .
وكم من مرة تمتلئ أشرعتها بنسيم الغرب أوتنبعج بريح الجنوب

ها هوذا قائد المركبة يرخي الأعنّة حينا ،
وحينا آخر يكبح الجياد الجامحة في حذق ومهارة .
فرُبّ امرأة لا تثبُ على الطيبة والحياء ،
وتفتر شهوتها إن لم تلق غريمة .
والسعادة في الحب قد تُسكرنا ،
وتعوق سبيل الإخلاص المطلق ،
فالوهج الخافت ينطفئ إذا لم ترْعه ،
ويذوي تحت رماد أشهب يتراكم فوقه ،
فإن ألقيت قليلاً من كبريت ،
شبّ اللهب وعاد متوهّجا يلمع .
وكذلك إن سكن القلب لاطمئنان مفرط ،
ينأى بها عن همٍّ أو قلق ،
فَأثِرْ فيها ضرام الحب جديدا ،
واجرحها بالسنّ الحاد .
دع عشيقتك تشهد ما تتعذب به ،
وما يُذكي في قلبها الفاتر لهبا يتجدّد .
خلّها تشحب حين تقع على دليل خيانتك .
سعيدٌ ذلك الرجل الذي تبكي بسببه امرأة مطعونة ،
سعيدٌ مرات أربع بل مرات لا حصر لها .
ما إن تسمع أذناها ما تكره حتى يزايلها الرُّشد ،
تعيا التعسة عن الكلام ،
وتفقد بَشَرَتُها اللونَ .
والهفتاه ! كم تُقت إلى أن أغدو ذاك الرجل ،
تشدّ الحبيبة شعره غاضبة .
والهفتاه ! لو أني كنت من تخمش بأظافرها وجنتيه .
والهفتاه ! لو أني كنت من تتطلع إليه من خلل الدمع ،

أو تحدق فيه بعين ثائرة ،
وأن أكون من تعجز عن أن تحيا دونه ،
وتتمنى في الوقت نفسه لو تملك ذلك .
قد تسألني عن طول زمان تتركها فيه نهبا لعذاب يقهرها ،
وأجيبك : أَقْصِر ما أمكنك زمان بُكاها ،
فالفترة إن طالت قد تُذكي ثورتها .
اقطع تلك الفترة ، قبل بلوغ الذروة ،
وتقدَّم بذراعيك تضمّان جيدها المتألق ،
واحتو عشيقتك الباكية في أحضانك
قبّلها بينا هي تبكي ،
وامنحها مُتع ڤينوس بينا هي تبكي .
بعدها سيسود سلامٌ ،
وبهذا وحده تقوى على طرد الغضب من صدرها .
فاحكم أنت إذن متى يبلغ الغضب ما يكفي .
وفي الوقت عينه حين تبدو هي كأنها عدوّتك اللدود ،
أنشد فوراً معاهدة عناق الودّ ،
ذلك ما يحيلها لطيفة وديعة .
وهكذا ترفرف ربّة الوفاق على ميدان القتال بعد نهاية المعركة .
صدّقني هنا تُولد ربة الوفاق .
فها هي ذي اليمامات التي كانت منذ قليل
تخمش إحداها الأخرى بالمنقار
تتآلف متعانقةً ،
وهديلُها يعمرُ بعبارات العشق .
فبادئ ذي بدءٍ كان العالم كتلةَ أشياءٍ في غير نظام أو تنسيق ،
وكانت ثمة وِحْدة في المظهر للنجوم والأرض والبحار .
وما لبثت السماء أن ارتفعت فوق الأرض التي طوّقتها البحار ،

وتقهقر الفضاء إلى مكانه ، وبسط للطير ذراعيه ،
وتلّقت الأدغال وحش الحيوان .
أما أنتِ أيتها الأسماك
فقد اخترت الماء المناسب .
عندها كان البشر يهيمون على وجوههم في أرض جرداء .
لم يملكوا غير قوى حيوانية وأشكال فظة .
كانت ديارهم الأدغال ، وقوتُهم الأعشاب ،
وأوراق الشجر مضاجعهم .
وما أطول ما جهل الإنسان أخاه .
ثم انبثقت تلك اللّذة الساحرة التي ترقّق المشاعر الوحشية ،
حين تلكّأ ذكر وأنثى معاً في بقعة مستورة ،
تُرى ماذا فعلا ؟
لقد علّم كلٌّ صاحبَه دون معلّم بينهما .
وهكذا من غير فن أو حذق ،
نجحت ڤينوس في خلق الفعل الممتع .
فللطير أليف يعشقه ،
وفي أعماق البحار تجد السمكةُ ذكرا يطفئ غُلة شهوتها ،
وتتبع الأيلةُ أيلَها
ويضمُّ الثعبانُ الأفعى ،
ويلتصق الكلب بالكلبة
وقد غرق في الشهوة .
وكم تسعد النعجة حين يعتليها كبشها ،
كما تهتز البقرة منتشية بثورها .
وتحمل العنزة الفطساء على ظهرها سيدّها التيس آكل القَذَرِ ،
وتُستثار الفرسُ سُعارا
فيفد إليها من أماكن نائية الجوادُ الفحل ،





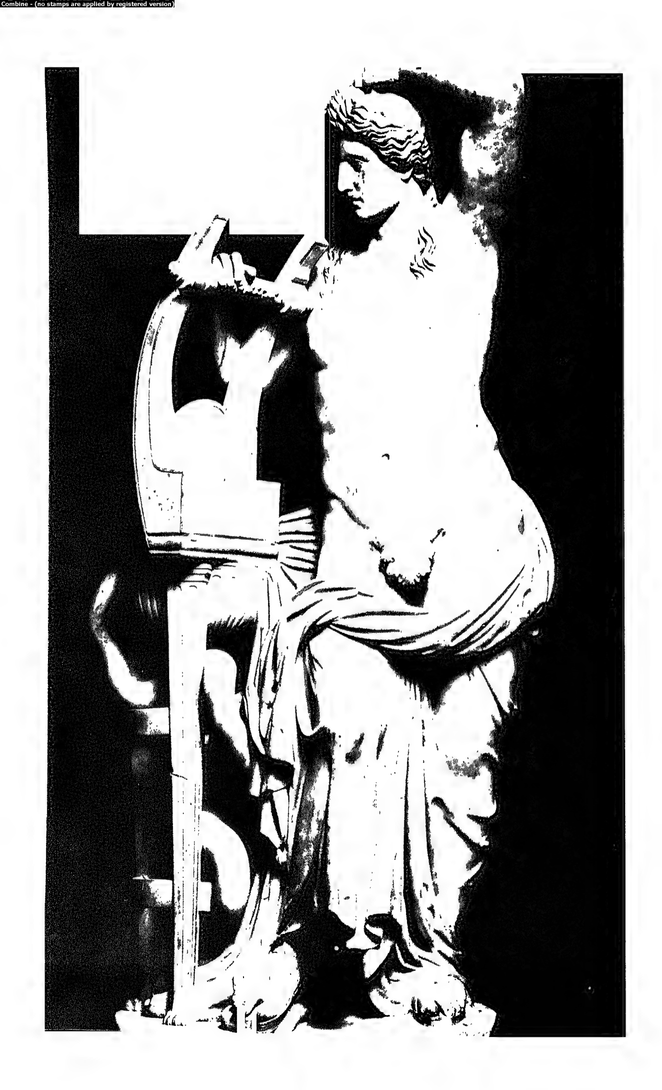
ولو حالت دونهما الأنهار.
فلتسعد إذن ولتتفاءل ،
وعليك بهذي الوصايا الناجعة ، لتهدئ من سورة أنثى غاضبة .
فهذا العلاج هو الأوحد
الذي يفثأ الغضب الوحشي .
وهذا الدواء أنفع بكثير من تلك العصارات
التي أوصى بها الطبيب ماخاوون[٣٢] .
إذا أخذتَ به عُدت إلى حُظوتها
ولو كان فراقك لها قد طال .

** ** **

وبينا كنت أردّد لحني فاجأني الإله أپوللو ومَثَل أمامي
قابضاً على قيثارته الذهبية ، يغمز أوتارها بإبهامه ،
وبيده الأخرى غصن الغار ،
وكان الغار كذلك يكلّل شعره المقدس .
ها هو ذا يدنو مني .
ما أجدره شاعرا يتأمله الناس .
قال يحدثني : « هلّم إليّ يا أستاذ الحب الشارد .

روبنز : عيد ڤينوس .
بإذن من متحف تاريخ الفن بڤيينا

أپوللو عازف القيثارة .
[نسخة عن الأصل اليوناني] بإذن من متحف الكاپيتولينوس بروما



واصحب تلامذتك إلى معبدي .
هناك سيشهدون نقشاً مدونا
يأمر كل إنسان أن « يعرف نفسه »[٣٣] ،
فمن يعرف نفسه يكن فطنا في حبه ،
وهو وحده من يعلم كيف يؤدي عمله على أحسن صورة .
فإن كان أحدكم وسيماً أبيض البَشَرة ،
فليكشف عن كتفه حين يستلقي على فراشه ،
وإن كان محدّثا لبقا فليحرص على ألا يصمت أبدا ،
وإن أجاد الإنشاد فليطلق حنجرته بغناء شجيّ ،
وإن وهبه النبيذ المرح فليشرب حتى يثمل .
وسواء أكان خطيباً أم محدّثاً أم شاعراً يتقمّصه شيطان القريض ،
فليحذر أن يخلط شعره أو نثره بحديث الغزل » .
هكذا تكلّم فويبوس .
وجدير بكم أيها العشاق أن تذعنوا لما قال ،
فما نطقت شفتا الإله بغير الحق .
ولنعد الآن إلى حديثنا
ندنو مما كنا فيه .
فمن يستهدي الحكمة في عشقه يطرق أبواب النصر .
وإذا لجأ إلى فني أصاب حتماً مرماه ،
فالحقل الذي يُنثر فيه الحَبُّ
لا يعطي دوما غلّةَ ما يُنثر فيه ،
كما أن الرياح لا تدفع في كل حال السفن الحائرة ،
ونصيب العشاق من المباهج قليل ، ومن القلق كثير .
فلتتأهبوا بشعور متدفق لتخوضوا غمار التجربة [الكبرى] .
شتّى هي آلام الحب ،
كفصائل الأرانب البرية ترعى فوق سفح جبل آثوس ،

أوكأسراب النحل فوق جبل هيبلا ،
أوكعدد ثمار الزيتون يحمله شجر پاللاس الرمادي الأزرق ،
أوكعدد الأصداف الملقاة على شواطئ البحار ،
والسهام التي تجرح القلوب عديد سمومها .

قد يُبْلغونك أنها رحلت
وتلقاها مصادفة .
ولكن ـ مع ذلك ـ صدّق أنها رحلت حقا ،
وأن رؤيتها خداع نظر .
وقد تذهب ليلة موعدك فيفاجئك الباب الموصد في وجهك .
لا تعبأ أن يحدث لك ذلك ،
واستلق أمام الباب ولو فوق ترابه .
بل قد تأتيك وصيفتها ،
تسخر في خُيلاء قائلة :
« ما ذا يفعل هذا الجِلْف ،
« أيحاصِرُنا ويسدّ علينا الباب ؟ »
لحظتها لا معدى لك ،
عن أن تتوسل لفتاة قاسية القلب ،
وللباب الموصد في آن .
لاطف كلاً ، ما استطعت سبيلا ،

وألق إكليل الورد عن جبينك وشُدَّه إلى الباب .
فإن لانت عشيقتك فامض إليها ،
وإن استعصت فاهجرها .
فالعاشق المهذّب يستهجن أن يكون ملحاحا .
لا تتح لعشيقتك أن تقول :
« أُفٍ ، ما عدتُ قادرةً على الفكَاك منه » ؟
واعلم أن توفيقك لن يطّـرد في كل مناسبة ،
تركن فيها إلى وسامتك وحدها .
ولتحتمل سباب المرأة
أو صفعاتها ،
فليس فيهما ما يَشين .
أما تقبيل قدميها البضّتين فلن يدنّسك .
لِمَ أتلكأ عند هذه التوافه من الأمور ،
بينا تتطلع نفس إلى ما هو أسمى ؟
فلأنشدنّكم إذن ما هو أجدى .
أنصتوا إليّ وهَبوني انتباهكم كله ،
فأنا مُقدم على أمر جلل .
كل ما يستحق العناء عسير المنال ،
وفني يُملي عليكم السعي الدؤوب .
اصبر على منافسك ، ولسوف تفوز عليه ،
وتغدو بطلاً منتصراً
فوق قلعة جوبيتر الجبار ،
أو كالقنصل الظافر فوق جبل كاپيتولينوس .
صهٍ . فلن يحدّثك غيري بهذا الحديث
سوى أشجار بلوط البيلازجيين[٣٤] ،
وما أنبّيك به إن هو إلاّ مبادىء فني .

إن لَوّحت فتاتك إلى منافسك ، تحمّل وتجمّل بالصبر .
وإن خطّت له الرسائل ، فحذار أن تمس لوحات الكتابة .
دعها تغدو وتجيء دون حساب ،
فمن الأزواج كثرة يمنحون زوجاتهم مثل هذا الحق ،
بعد أن يغشى عيونهم الكرَي الحاني ،
فيؤازر الزوجات على خداع الأزواج .
ومع هذا أعترف لكم
أنني لست ممن أدركوا حد الكمال في فني هذا .
فماذا تُراني فاعلاً ؟
عسيرٌ عليّ أن أتعظ بنصحي .
فلو أني لمحت غريماً لي يلوّح لعشيقتي أمام عيني ،
أَوَتظن أني أحتمل هذا دون أن أطلق العنان لغضبي الفائر !
أذكر أن زوجَها قبّلها أمامي مرة ،
فكم ثارت شكاتي من تلك القبلات !
وكم فاض حبي بالنقمة والثورة !
وتكرر ذلك لي مرات .
فخليق بالحصيف أن يسمح لسواه
بأن يزور عشيقته أنّى شاء ،
ولكن الأمثل أن يتجاهل ما يحدث .
دعها تتستّر على خياناتها ،
حتى لا تعتد أن تبعث الاحمرار
في وجنتيها خفراً حين تشاء ،
كلما اعترفتْ لك بما اقترفت .
أيها العشاق
أحذّركم أن يَفْجَأ أحدٌ منكم عشيقته في أحضان عشيق آخر .
دعها تسترسل في غَوايتها كما تهوى ،

وهي تخال أنها قد خدعتك .
إن مباغتتك لها مع من يعشقها
سوف تؤجج نار غرامهما ،
ولسوف يحاولان بعد مباغتتك إياهما ،
أن يتلمّسا سُبُلاً أكثر أمناً
لوَصْلٍ ما ساقهما إلى هذا المأزق .
ثمة قصة تُروى في أنحاء العالم كله ،
هي قصة مارس وڤينوس ،
فاجأهما زوجها ڤولكانوس (إله النار والحدادة) في وضع شائن .
تحكي القصة أن الإله مارس قد تدلّه حبا في الربة ڤينوس ،
وفقد رشده ،
فاستحال رب الحرب عاشقاً فحسب .
أما الربة ڤينوس
فما كان الحياء من صفاتها ،
وما من إلهة سعدت أكثر منها بفؤاد يقطر رقة .
وما أكثر ما لانت لتوسّلات جراد يڤوس [مارس] ..
وكم سخرت تلك الماجنة من ساقي زوجها ؟
وكم ضحكت من أديم يديه الملفوحتين من أثر النار ،
المخشوشنتين من طول الكدّ ؟
وكم حاكت ساخرة زوجها ڤولكانوس بين يدي مارس ؟
ولقد كانت فاتنة خلابة وهي تمثل هذا الدور .
في البدء نجحا في إخفاء لقاءاتهما ،
يقترفان الزنى في خَفَر وحياء .
لكن إله الشمس وشى بهما لڤولكانوس ،
وكشف له عما تقترفه زوجته .
وهل من مخلوق يجد سبيلاً لخداع الشمس ؟

آهٍ يا إله الشمس ،
ما أسوأ المثل الذي تضرب به للناس بذلك !
كان أجدر بك أن تطلب من ڤينوس إسعادك بمفاتنها ،
فتشتري رضاها بسكوتك عنها .
نصب ڤولكانوس حول الفراش شباكاً غاية في الدقة
تخْفى على كل الأعين ،
وأسرّ إلى زوجته « إني راحل إلى ليمنوس » .
والتقى العشيقان في الموعد ،
ووقعا في الشراك عاريين .
ساعتها ، نادى ڤولكانوس الآلهة جميعاً ،
وكان مشهد الأسيرين منظرا جديراً بالرؤية .
ويحكي الرواة أن ڤينوس كادت لا تملك حبس عبراتها ،
وما ملكا إخفاء وجهيهما ،
أو ستر عورتيهما بأكفّهما .
وتضاحك إله من الآلهة الحضور وقال :
« يا أيها الإله مارس الباسل ،
إذا كانت قيود الحب تثْقلك ،
فماذا عليك لو نزلت لي عنها ؟ »
وبعد قليل استجاب ڤولكانوس لرجاء الإله نپتون ،
وأطلق سراح الأثمين .
فهرول مارس صوب طراقيا ،
أما هي فاتجهت شطر پافوس .
وأنت يا ڤولكانوس ،
ماذا جنيت من هذا كله ؟
لقد كانا في الماضي يخفيان عشْقهما ،
واليوم يستمتعان بنشوة الحب علانية ،

وطرحا عنهما كل شعور بالحياء .
ما أحمقك ،
وما أكثر ما اعترفت بتعجلّك فيما صنعت ،
وكم كرّرت ندمك على مهارة يدك .
أي مريدي ،
لتكن لك عظة في هذه القصة ،
فلا تنصب الشراك كما فعل ڤولكانوس مع ڤينوس
قبيل مفاجأته لها ،
ولا تتربّص لخطف الرسائل المكتوبة سرا .
أترك هذه الحيل للأزواج الشرعيين
الذين التمسوا شرعيتهم من طقوس النار والماء[٣٥] .
وإني إلى هذا أذكّركم ،
أني لا أشجعّكم أن تتلمّسوا مُتعاً
غير تلك التي لا يحرّمها شرعُ .
في لعبتنا هذه ،
فلنتجنّب صاحبات التنّورة الطويلة .
ومن منكم يجرؤ أن يعلن للجهلة الكافرين
أسرار طقوس الربة سيريس ،
أو تلك الشعائر العظمى التي ابتدعت في صاموطراقيا ؟
حقا إن التزام الصمت فضيلة يسيرة ،
ولكن البوح بما نعلم
أنه يَحْسُن أن يبقى سرا ،
أمر لا يجدر أن نفعله ،
فالمهانة فيه تحيقُ بنا .
وإنه لجزاء حق ، أن يمضي تانتالوس الثرثار
محاولاً قطف التفاحة المدلاّة من فرع الشجرة سُدى ،

هيمزكيرك : ڤولكانوس يضبط ڤينوس ومارس متلبسين .
بإذن من متحف تاريخ الفن بڤيينا



وأن يبقى ظمآن والماء من حوله .
وربة كيثيرا تَنْهَى تابعيها عن إفشاء أسرار طقوسها ،
وأنا أنذركم إنذارا جادا ،
ألاّ تَدَعوا ثرثارا يدنو من محرابها أبدا .
حقاً إن أسرار ڤينوس لا تَخْفَى في صندوق[٣٦] ،
والصنوج البرونزية لا تَصُكُّ صكّاتٍ مُفَزِّعة .[٣٧]
فني أعيادها لا يكون شيءٌ من ذلك ،
فهي تفتح أبواب محرابها لكل إنسان ،
على ألا يفشي أسراراً
يُكشف له عنها .
ما أكثر ما تعرّت ڤينوس ،
ولكنها مع ذلك كانت تنحني قليلا ،
وتخفي عورتها بيسراها[٣٨] .
الحيوانات يغشى بعضها بعضا أنّى كانت ،
وعلى مرأى من الناس جميعا ،
وما أكثر ما تلفت العذراء الحيّية
وجهها عن ذلك خَفَرا .
أما نحن فديدننا أن نلجأ إلى المخادع والأبواب الموصدة ،
وأن نستر عوراتنا بالثياب ،
وأن ننشد الظلام ،
نأتي ما نبغي .
فإن لم نجد ، فحيث الظل الدامس ،
أو ما هو دون وَضَح النهار .
في الماضي حين لم يكن هناك سقف
يحجب أشعة الشمس ولا انهمار الأمطار ،
وكان للناس في شجر البلوط

القوت والمأوى والملبس ،
في ذاك الوقت كانت ملذات الحياة لا تُباشَر علنا ،
بل في أعماق الغابات وبطون الكهوف .
ما كان أشد شعور الحياء عند البسطاء .
أما اليوم فنختال بمغامراتنا الليلية ،
وإن الناس لعلى أهبة أن يدفعوا أبهظ ثمن ،
لا لشيئ إلا لأن يزهوا بمآثمهم .
أجل .
أليس من أسلوب العصر أن نعترض فتاة
لنحدّثها ، كي نقول :
« أرأيتَ إلى هذه الفتاة ؟
إنها هي الأخرى من حَظيّاتي »
أيليق بك أن تفتري على فتاة
لم تلمسها أناملك ؟
ما أهون هذا كله
إلى ما سأقصه الآن :
هنالك قومٌ يختلقون على النساء قصصا ،
ولو أن ذلك كان حقا لأنكروه في إصرار .
وما أكثر ما يدّعون أن ليس في الوجود أنثى لم يطؤوها .
وإذا سلم منهم جسد المرأة لم يسلم منهم اسمُها .
فإذا بَرِئ جسدُ المرأة من تلك الفِرْيه ،
ظل اسمُها مثقلا بالإثم المزعوم .
اذهب إذن أيها السجّان البغيض ،
وأغلق الباب دون عشيقتك ،
بل أوصده بمائة ميصاد ،
ولكن ما نفع هذا كله

إن ظَل من يدنّس اسمها طليقا خارج بابها ،
موهما الناس بما لم يحدث أبدا إلاّ في زعمه ؟
وأنا لا أتكلم عن الحب الحق
إلاّ بلسان يقصد في الحديث ،
وأوثر أن أخفي ملذّاتنا المستورة
وراء حجاب لا ينفذُ شيءٌ عَبْرَه .

**　　**　　**

وأقول لكم خاصة
لا تحدثوا المرأة عن عيوبها .
فكم من عاشق بلغ مناه حين التزم الصمت المُجدي .
فبيرسيوس ، ذاك البطل المجنّح القدمين ،
لم يَعب أندروميدا لسُمرة بَشَرَتها .
أما أندروماخي ، فقد أجمع الكل على أنها فارعة القامة ،
غير أن زوجها هيكتور وحده ،
رآها معتدلة القامة .
جاهد أن تألف ما لم تألفه .
حينئذ سوف تُطيقه في يُسر ،
فالأُلفة تسيغ كل ما هو مستغرب ،

والزمن يُجَمِّل ما قد تستقبح .
لكن للحب في أوله حساسية مرهفة .
هَبْ مثلا أنك طعّمت شجرة
بغصنٍ أخضرَ غض ،
وهب أن النسيم هزّ براعمه النابتة ،
إذن لذوي الغصن الغض .
لكن لو وهب الزمن الشجرة عُمْرا
لصمدت للريح ،
ومنحتك الثمار المستولدة .
الزمن جدير أن يمحو كل شيْ ،
حتى عيوب الجسد .
لن يضير نا غدا ما كان يوما ما شائبة .
وخياشيم الصبي لا تطيق رائحة جلود الثيران ،
وبعد سنين يَمْرن الصبي وتستنيم خياشيمه ،
فلا تجدُ الرائحةَ كريهة .
أنت قدير على مداراة الشوائب باللفظ المعسول .
قد تَلْقى سيدة بَشَرَتُها أعتم من قطران إليريا [ألبانيا] ،
فقل لها : « يا خمريّة اللون » .
وإن كانت حَوْلاء فقل لها : « ما أشبهك بڤينوس ! » .
وإن كانت شقراء ، فقل : « ما أشبهك بمينرڤا » .
وإن كانت نحيلة عن مرض قل : « يا هيفاء القدّ » .
وإن كانت قصيرة قل لها : « كم أنت خفيفة ! » .
وإن كانت بدينة قل : « إن جسدك بضّ » .
قنّع كل عيب بما يقاربه من حُسن .

*** *** ***

لا تسلها عن عمرها ،
ولا في عهد أي من القناصل وُلدت .
أترك ذلك « للسنسور »[٣٩] الصارم ،
وخاصة إن كانت قد تعدّت زهرة العمر ،
وبدأت تنزع بعض الشعيرات البيضاء .
أيها العشاق ،
لا تحسبوا أن تلك السن تخلو من الملذات .
هي حقلٌ ، عليك أن تبذَر فيه ،
وقريبا تجني منه الحصاد الوفير .
تقبّل المشاق ما سمحت فتوّتك وشبابك ،
فعاجلا ستلحقك الشيخوخة الصامتة الخطوات .
ولتشق البحار بالمجداف أو التربة بالمحراث ،
أو فلتخض المعارك الوحشية بذراعيك المفتولتين ،
وكذلك فلتسخّر فتوّة الشباب وجهدك الدؤوب في ساح النساء .
فهذه أيضا حربٌ تتطلب ما فيك من قوة وبسالة .
ثم كم للناضجات من خبرة تثير شبق الرجل .
وهن بخبرتهن قادرات على أن يعوّضن ما سلبتهن الأيام ،
وما أبرعهن في التصّابي .
لا تقنط ، فما أعرفهن بمواقع نزواتك ،
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

٦٩٣ . . . .

كل هذا موفورٌ فيمن تخطّين السنوات الخمس مرات سبعا ،
والطبيعة بمثله أبخل علي من هنّ غريرات .
من يهوى أن يشرب لا لشيء غير الشُرب ،
فليكرع النبيذ الجديد غير المعتّق .
أما أنا فأميل إلى خمر غنية ناضجة معتّقة في قِدْرٍ ،
من عهد قناصل الماضي البعيد .
فما يستطيع شجر الدّلب
أن يحجب الشمس المحرقة بفروعه ،
إلاّ بعد سنين طويلة من نموّه .
وكذلك الحقول التي حُصدت وشيكا
تُدمي الأقدام العارية إذا وطئتها .
٧٠٠ عجبا ! أويُمكن أن تفضّل هيرميونيه[٤] على هيلينا ؟

وهل يستقيم القول بأن جُورْجِيه[٤] كانت أجمل من أمها ؟
كائنا من كنت ،
إن أحببت أن تنال من مفاتن أنثى ناضجة
فإنك لبالغ مُناك إن تقمّصت الدور الذي سأُمليه عليك .
ها هوذا الفراش شاهدٌ على كل ما يقع فوقه .
ها هوذا قد استقبل العشيقين .
مهلاً ربة الشعر ، لا تقتحمي باب مخدعهما الموصد .
فكلاهما يعرف كيف يرتجل أبلغ الخطب ،
دون حاجة إلى عونك .
٧٠٦ . . . .

. . . .
فقديماً طبّق هيكتور المقدام هذا الأسلوب مع أندروماخي ،
فلم يك مقداما في ميدان القتال فحسب .
وأخيل الجبار سار على النهج نفسه .
مع أسيرته بريزييس فتاة ليرنيسوس ،
فبعد أن أناخ بثقله فوق العدو ،
ساخ الفراش الوثير تحته من ثقله .
بهاتين الكفّين رضيتِ يا بريزييس أن يداعب أخيل جسدك ،
ويداه ـ كما كنت تعلمين ـ مخضبتان بدماء مواطنيك الفريجيين .
أخبريني أيتها الماجنة ألم تكن ذروة متعتك ،
أن تتحسس أطرافك كفّا قاهر شعبك ؟
خذوا عني ،
لا تتعجل في الحب النشوة .
هي هَوْنا تُستدرج ،
فتريّث لتزيدَ المتعة .

حتى إذا أدركت ما تتمنى المرأة أن تلمسه منها
فلا تدع الحياء يردّك عما تفعل .
وحين تلمح عينيها وقّادتين راجفتين ،
وكأنهما صفحة ماء صاف تعكس بريق الشمس ،
عندئذ ، ستراها مقبلةً في دَلٍّ ،
متمتمة في وَلَهٍ ،
مطلقةً زفراتٍ في نبرات رخيمة ،
لا تنطق إلاّ بما يوائم فعلَ الحب .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .

** ** ** **

ألا هل بَلّغَتُ رسالتي ؟
إذن فلتهبوني سعفَ النخيل أيها العشاق ،
مُثنين عليّ شاكرين لي .
ولتتوّجوا هامتي المعطّرة بأكاليل الآس ،
فبقدر ما كان بوداليريوس شهيرا بين الإغريق بطبّه ،
وأخيل بذراعه المفتولة ،
ونسطوز برائع حكمته ،
وبقدر ما كان كالخاس عليما بالمستقبل وطقوس القرابين ،
وأجاكس بن تيلامون باستخدام السيف ،
وأوتوميدون بقيادة مركبات القتال وسباقها ،
هكذا أنا . . . . . أعرف العشاق .
أيها الرجال تَغَنَّوْا بمديحي ،
ومجّدوا اسمي
نبياً عظيماً .

***   ***   ***

وليتغنّ بنو الإنسان باسمي في أرجاء الدنيا .
ها أنذا قد وهبتكم سلاحكم ،
كما وهب ڤولكانوس أخيل سلاحه .
فليُكتب لكم الظفرُ بسلاحي ،
كما كُتب لأخيل الظفرُ .

وعلى كل عاشق قوي بنصلي
على أن يقهر إحدى الأمازونات ،
أن ينقش فوق غنائمه
« كان ناسو . . . معلّمي » .

*** *** ***

أما أنتن أيتها الفتيات ،
فتضرّعن إليّ لكي أسوق لكنّ النصح .
مهلا . . .
فلسوف أُحسن احتفائي بكن
فيما سيأتي من صفحات .



الكتاب الثالث





هَا أنذا قَد منحت الإغـريق سـلاحا ،
كي يُنـازلوا بـهِ الأمازونات .
وقـد آنَ لي يا پنشسيليا ،
أن أمدّك بالسّلاح لمقـاتلة الإغـريق .
هيّا خوضي ومحارباتك الباسـلات مَعركة متكافئة ،
فالنّصر حَليف لمن تحابيه ڤينوس السخيّة ،
وذاك الصّبيّ الذي يحلّق فوق العَالم بأسـره .
فليسَ مِن العَدل أن أعرّضكن عُزّلا مِن السّلاح .
أمـام عَدوّ كامِل العُدّة ،
ومَا يليق بكم أيها الرّجال نصرٌ كهـذا النّصر .



ها أنذا قد منحت الإغريقَ سلاحا ،
كي ينازلوا به الأمازونات .
وقد آن لي يا پنشسيليا[1]
أن أمدّك بالسلاح لمقاتلة الإغريق .
هيا خوضي ومحارباتك الباسلات معركة متكافئة ،
فالنصر حليف لمن تحابيه ڤينوس السخية ،
وذاك الصبّي الذي يحلّق فوق العالم بأسره .
فليس من العدل أن أعرّضكن عُزّلا من السلاح
أمام عدو كامل العُدّة ،
وما يليق بكم أيها الرجال نصرٌ كهذا النصر .
ورُبّ أحدكم يقول :
« لِمَ تزوّد الثعبان بسمٍ جديد ؟
ولم تقدّم الحَمَل للذئب المفترس » ؟
وأقول لكم :

لا تعمّوا باللوم النساء كافة ،
فقليلات منهن يحقّ عليهن هذا اللوم ،
ولتحكموا على كل سيدة على حدة .
وإن حُقّ لابن أتريوس الأصغر [منيلاوس] أن يتهم هيلينا ،
ولابنه الأكبر [أجاممنون] أن يتهم أختها كليتمنسترا ،
وإذا كانت مكيدة إيريفيليه[2]
قد دفعت زوجها أمفياراووس إلى العالم السفلي
من قبل أن يحين أجلهُ ،
تسحبه جياده المنطلقة إلى حيث يلقي الرَّدَى .
إن صحّ ذلك كله ،
فهل نسيتم أن پنيلوپي ظلت عفيفة ،
رغم هيام زوجها أوديسيوس على وجهه سنين عشرا ،
واشتراكه في الحرب عشر سنين أخرى ؟
وإليكم لا وداميا[3] ،
التي يُروى عنها أنها صحبت زوجها پروتيسيلاوس إلى منيّته ،
ففاضت روحها قبل حينها بزمان .
وألسيستيس التي فدت زوجها أدميتوس بحياتها ،
فعاد هو إلى الحياة ،
وحُملت جثتها هامدة إلى المحرقة .
وقديماً ألقت إيفادني بنفسها في المحرقة صائحة :
« خذني معك يا كاپانيوس ،
كي أخلط رمادي برمادك » .[4]
الفضيلة يا صحاب امرأة ،
ثوباً واسماً[5] ،
فلا عجب إذا مالت إلى ذراريها .
لا عليكنّ فني فنّي غِنى

عن مثل هذا البذل النبيل ،
وقاربي يشقّ البحار بشراع صغير ،
وتعاليمي لا تنطوى إلا على الحب اللاّهي .
سأعلّمكن كيف تبلغ المرأة أن تكون محبوبة ،
فالنساء عاجزات عن مقاومة سهام الحب ولهيبه ،
أما الرجال فما أظن السهام تنفذ إلى أعماق قلوبهم .
وما أكثر ما يلجأ الرجل إلى الخداع ،
بينا الفتيات اليافعات يندر أن يلجأن إليه .
سَلْ عن أخبارهن ،
فلن تجد من بينهن من قد تتهمها بالتدليس .
فجاسون الغادر هجر ميديا وكانت حُبلى ،
وضمّ إلى صدره [كريوسا] عروسا جديدة .
وأنت يا ثيسيوس مالَكَ من فَضْلٍ
في نجاة أريادني من براثن جوارح الطير ،
حين مضت شاردة على الشاطئ المهجور .
سلوا لماذا سُمّي هذا الطريق :
« طريق السُّبل التسع ؟ »
وسلوا هذي الغابات ،
لم ذرفت أوراقها دموعا على فيليس[6] ؟
وأنت يا ديدو ،
ألم يهجرك ضيفك أينياس رغم ما ذاع عنه من وفاء ،
ولم يخلّف لك شيئا سوى السيف الذي به ذقت الرّدى ؟
آهٍ أيتها التعسات الحظ ،
أَوَ تبغيْن أن أكشف لكنّ عن سبب شقائكن ؟
إليكن جوابي :
لقد فشلتنّ في أن تكنّ محطّ العشق ،

فقد أعوزتكن المهارة والفن ،
وفيهما خلود الحب .
ولولا وصية ڤينوس لي أن ألقّنكن المهارة والفن ،
لبقيتنّ ترفلن في الجهل .
فقد جاءتني ڤينوس نفسها ،
ومَثَلت أمام عيني قائلة :
« ما خطيئة النساء العُزَّل من السلاح ،
حين يستسلمن لرجال مسلّحين ؟
لقد خصَّصتَ نشيدين كاملين لتلقين الرجال فنون الحب ،
وها هنّ النساء يقصدنك الآن طالبات العون :
فستيسيخوروس أول شاعر هجا هيلينا عروس ثيرابناي ،
ما لبث أن أطنب في مزاياها بقيثارة تسيل حناناً .
وإذا كنتَ من أعرفُ حق المعرفة ،
فلستَ من يظلم النساء ، وبخاصة الغيد المهذبات .
ويقيني أنك ساعٍ إلى مرضاتهن ما دُمتَ حيًا »
هكذا تكلمت ڤينوس .
ثم قطفت من الإكليل الذي يتوّج شعرها
ورقة آس ، وبعض ثمار أعطتني إياها .
وما كدت أمسك بها حتى أحسست بقدرتها الإلهية ،
فتألق في السماء ضوءٌ ساطع ،
وانزاح عن صدري عبءٌ ثقيل .
أيتها الجميلات أنصتن إلى نُصحي ،
ما دامت ڤينوس هي من أوحت إليّ بالكلمات .
فنصيحتي أن تَظْفَرْنَ بميزاتكن[٧]
في ظلال الخفاء وحماية القانون .
جدير بكن أن تذكرن الشيخوخة المرتقبة ،

حتى لا تضيع سدى منكن ساعة من زمن .
امرحن ما وسعكنّ المرح ،
وما دمتن في ربيع العمر .
السنون تمرّ كما يمرّ الماء في انسيابه ،
وما ارتدّت قطُّ موجةٌ مضت .
والساعة التي تنقضي عصّيٌ أن تعود .
عِشْنَ سويعاتكن ،
فالعمر ينزلق على إيقاع سريع ،
وما يأتي به الزمن ليس في روعة ما ذهب .
هذي النباتات التي ترونها ذابلة ،
رأيتها ذات مرة حوضَ بنفسج يانع ،
وهذا الدغل من الأشواك ،
جُمع لي منه قديماً إكليل زهر بهيج .
أنتِ يا من توصدين بابك دون عشاقك ،
ليأتينّ اليوم الذي تستلقين فيه طوال الليل على فراشك
عجوزاً عجفاء ترتجفين من الوِحدة والزمهرير .
لا يصطخب عراك العشاق
خلال الليل على بابك ،
ولا تُنثر الورود في الفجر التالي
على أعتابك .
ويلاه . ما أسرع ما تشيع الغضون في الجسد
كخطوط المحراث .
وما أسرع ما تهجر حُمرة الورد
بَشَرة ذياك الوجه الفاتن !
وتلك الشعيرات البيض ،
التي تُقسمين أنها شاعت برأسك منذ الصِّبا ،

عما قريب ستغشي رأسك كله .
الأفاعي وهي تنضو سِلْخَها
تنضو معه شيخوختها .
والأيل يُلقي عنه قرنيه القديمين ،
فينبت مكانهما قرنان بديلان .
أما مفاتن البَشَر فتذبُل
دون أن نملك استردادها .
لتقطفن الزهرة إذن ،
فمآلها ـ حتى لو لم تقطفنها ـ إلى الذبول .
إلى ذلك كله أضِفْنَ شهور الحمل والوضع ،
فهذي كلها تنال من عمر الشباب .
ما أسرع ما يَهْرم الحقل الذي يُجْهد زرعاً .
أي ديانا يا ربّة القمر ،
لا يحمّر خداك خَفَراً ،
وقد وقعت في حبائل أندميون[8] .
وأنت يا أُورُورا ربّة الفجر
يا ذات الأنامل الوردية ،
لا يصيبنّك الخجل
إذ راودت كيفالوس[9] عن نفسه .
وأنت يا ڤينوس !
يا من تبكين أدونيس بلا انقطاع ،
هلاّ أنبأتِني عمن أوْلَدك أينياس وهارمونيا ؟[10]
لكُنّ في الإلهاتِ عبْرة أيتها النساء الفانيات ،
فلا تحجبن مفاتنكن عن عشاقٍ جوعي ،
حتى لو خانوا .
فيم خسَارتكن ؟

المُتعة ؟
أثرها باقٍ لا يبرح .
لو اختطف العشاق منكن ألف متعة ،
فما وجه الخسران ؟

٩١ . . . .

٩٣ . . . .
هل يخبو وهج الشُّعلة حين تُشْعل أخرى منها ؟
والبحر الواسع ، هل يتأثر إن غَرَفْنا منه حَفْنة ماء ؟
رُبَّ امرأة تَجَنَّبه رجلاً وتقول :
« لا ينبغي لامرأة أن تُذْعِنَ لرجل »
ليكن ردّك في حسم : « ولم لا ؟ »
ماذا تخسر ؟
هي لا تخسر شيئاً
أكثر من حَفْنة ماء ،
من بحر واسع .
ما أردت حديثاً يحطّ من أقدارِكُن
فكل ما أنشده أن أنهاكُنّ عن خسارة موهومة ،
فلا خسارة أن تُعطين .
ومع ذلك كله ،
فَمَرْسَاتي لا تزال ملقاةً بالمرفأ .
ليت النسيمَ الشفيف يَدْفَعُ قاربي ،
١٠٠ فعمّا قريب ستدفعه ريح عاتية .
بدءُ المنطلق أن تُعْنَيْن بجسدِك .
إن باكخوس يمنح أطيب أنبذته
من كَرْم لَقِيَ أجلّ عناية .

فإذا سَرّحت الطرف في حقل نال حظاً من رعاية ،
لوجدت المحصول وفيراً .
الجمال هبة السماء ،
وما أقل من يزدهين به !
الكثرة منكن يفتقرن إلى هذه الهبة الكبرى ،
غير أن رعاية الأجساد تحفظ لكنّ ملاحة المظهر .
والإهمال يذهب بالجمال ،
حتى لو كنتنّ في حلاوة ربة جبل إيدا (ڤينوس) .
ولو لم تعن نساء الزمن الغابر بأجسادهن ،
لما فُزن بعشاقهن .
فلا عجب إذا ارتدت أندروماخي ثوباً خشناً ،
فلم تكن غير زوجة لمحارب عاتٍ .
استحلفتكِ بالآلهة ،
لو كنت زوجة أچاكس
وعليه جلود ثيران سبع ،
أَوَ كنت تَلْقَيْنَه في حُلَّةٍ زاهية ؟
طابع الماضي بساطة فطرية ،
أما اليوم فتنعم روما المزدهرة بثراء وفير ،
ينهمر عليها من أنحاء العالم المقهور .
أنظري اليوم إلى تل الكابيتولينوس ،
واذكري ما كان عليه سالفاً .
إذن لخُيِّل إليك أنه قد كُرِّس قديماً لچوپيتر آخر ،
غير چوپيتر هذا العصر !
جديرةٌ قاعة مجلس شيوخنا اليوم بأعضائه المبجّلين ،
بينما كانت تحت حكم تاتيوس [11] مزيجاً من القصبات والطين .
إليك تل الپالاتينوس ،

الذي يتربّع فوقه فويبوس وقادتنا في شموخ وجلال ،
ماذا كان من أمر هذا التل ؟[١٢]
مرعي ثيران حتى جرى عليه المحراث .
فليسعد غيري بأن يجترّ ذكريات الماضي ،
أما أنا فأهنئ نفسي ،
لأني لم أُولد في عصر سابق ،
فهذا العصر يلائم طبعي ومزاجي .
لست أردّد قولي هذا ،
لأن الذهب المستعصي
يُستخرج اليوم من جوف الأرض ،
والصَّدف يُجمع من شواطئ شتى ،
والجبال تتضاءل لِمَا يُنتزع منها من رخام ،
ولأن أسوار الآجرّ
تسدُّ فيض المياه الداكنة الزرقة ،
ولكني أقول قولي لأن الحضارة باتت شامخة ،
وعادات الريف المتوارثة عن الأجداد ،
قد بادت

* * * *

أقول لكنّ
لا تثقلن آذانكن بنفيس الأحجار ،
مما يجمعها الهندي الباهت البَشَرة من أعماق الماء الأخضر .
ولا تخطرن مُثْقلات بثياب مطرّزة بالقصب .
كم يعترينا الاشمئزاز من ذياك الثراء تحاولن اغراءنا به ،
فالأناقة وحدها تشدّنا إليكن .
لا ترسلن شعوركن غير منسّقة ،
فلمسة من أيديكن كافية ،
تُضفي الجمال عليه أو تحرمه منه .
ولا يذهب بكنّ الظن ،
أن هناك أسلوباً فريداً للتجميل ،
فلتختر كل منكن ما يناسبها ،
ولتلتمس من مرآتها النصحَ .
فلن تحتاج صاحبة الوجه البَيْضى
لغير مِفْرقٍ بسيط في شعرها ،
ذلك ما كانت تفعله لاوداميا .
وصاحبة الوجه المستدير تكتسب جمالاً
بكعكة صغيرة من الشعر فوق رأسها ،
تُظهر أذنيها جليّتين .
ولترسل واحدةٌ شعرَها على كتفيها ،
هكذا فعلتَ يا فويبوس
بينا تعزف على القيثارة .
ولتضفر أخرى جدائل شعرها
على نسق ديانا ،
بينا تطارد الوحوش المرتعدة .
يليق بهذه الفتاة أن تدع شعرها ينساب طليقاً ،

وبتلك أن تحبس غدائرها المضفورة في عناية .
وهذه ينفعها مشط من ذبل السلحفاة الكيليني[13] ،
وتلك تدع شعرها يتموّج تموّج البحار .
وإن عجزتِ أنت عن إحصاء ثمار البلوط ،
ونحل جبل هيبلا وضواري جبال الألب ،
فإني لكذلك عاجز عن تعداد تصميمات الأزياء .
وكل يوم يمضي يضيف مزيداً من حُلَى التجميل .
ما أنسب الشعر المُرْسَل لفريق من السيدات ،
يبدو لك وكأنه مُهمل لم تمسسه يد ،
والحق أنه مُشَّط منذ هنيهة على هذا النحو .
الاصطناع هنا مقصود محاكاة للإهمال .
وعلى هذه الصورة بدت إيولي لهرقل ،
حين علق بها بصره أول مرة في المدينة المقهورة ،
فصاح : « لتكوننّ هذه المرأة من نصيبي . كم وقعت من نفسى .. »[14]
وهكذا بدوتِ أيضاً يا أريادني ،
عندما حملك باكخوس على مركبته ،
بينا تنطلق حناجر الساتير صارخة : « إيهوي » ! .
آهٍ . ما أحنى الطبيعة على جمالكن
حين تسخو فتستر عيوبكن بوسائل شتّى .

* * * *

يعركنا الزمن ويقذف بنا في مسراه ،
ويسّاقط شعرُنا
تساقط الأوراق عندما تهزّ ريح الشمال الغصون .
قد تصبغ المرأة شعرها بعصارات جرمانية ،
وتُضفي عليه لوناً أزهى ،
وما أكثر النساءَ اللاتي يتبخترن بجدائل شَرَيْنَها
فبالمال لا تتوانى المرأة عن أن تبتاع شعراً بديلاً ،
وتحت أبصارنا يُشترى هذا الشعر بلا خجل ويباع ،
في حضرة هرقل وأمام جوقة العذارى[١٥] .
أما الثياب فإليكن رأيي فيها .
ما حاجتي إلى حواشي الثياب ؟
أو إلى ذاك الصوف الذي بأصباغ صور
يبدو في حمرة الخجل ؟
أى جنون ذلك الذي يدفعكنّ
إلى السير محمّلات
بثرواتكن كلها فوق أبدانكن !
بينا تستطعن بأبخس الأثمان
ارتداء ثياب مختلف ألوانها .
هذا ثوب فيروزي في لون السماء الصافية
حين تكفّ رياح الجنوب عن دفع السحب الحُبْلى بالأمطار .
وإليك الأصفر الضارب إلى لون الذهب ،
لون فروة الكبش الذي أنقذ ذات يوم
فريكسوس وهيلي من شراك إينو[١٦] .
وذاك الأخضر خُضْرة ماء البحر ،
إخاله ثوباً للحوريات .
ويحاكي هذا الثوب الزعفران ،

لون رداء « أورورا » ربة الفجر
عندما تشد جيادها الناصعة البياض إلى مركبتها ،
وهي لا تزال نديّة .
وإليك لون شجر الآس من پافوس ،
والجَمَشْت الأرجواني ،
والورد الأبيض ،
ولون ريش الكركي الطراقي ،
« ولا ننسى لون كستنائك أو لوزك يا أماريلليس »[17] .
ولا ذلك الفراء الذي أسبغ عليه الشمع لونه[18] .
وبقدر ما تتعدى ألوان الزهور التي تتفتّح براعمها
حين ينصرم الشتاء المتلكّئ الخطوات ،
وبقدر ما تتعدّد محاليق الكروم
تحت دفء أنفاس الربيع الحانية ،
تتعدّد ألوان الصوف المصبوغ .
اختاري لونك الأثير بعناية ،
فلونٌ بعينه لا يتفق وجميع النساء .
فالبَشَرَة البيضاء بياض الجليد ،
يلائمها الرمادي الداكن ،
وقديماً كانت تتحلّى به بريزييس
يوم وقعت في الأسر سبيّةً .
والسمراء يناسبها الأبيض ،
فما أشد فتنتك يا أندروميدا في ثوبك الناصع ،
وأنت تهبطين على شواطئ جزيرة سيريفوس .

* * * *

كدتُ أُنذرك
أن تتفادَىْ نَتَن « الجَدْي الريفي »
أن يلحق إبطيك ،
أو أن تتركي الشعيرات الخشنة تسلبك نعومة ساقيك .
ولكني لست معلم فتيات جبال القوقاز ،
ولا نسوة شاطئ نهر الكايكوس[19] .
ما أغناني عن أن أرشدكنّ إلى الحفاظ على نصاعة أسنانكن ،
وعلى نقاء ثغوركن بالماء النقي العذب .
وأنتِ أعلم كيف تَكْسين بَشَرتك بالمساحيق ،
فالفن قدير على إكساب بشرتكن نضارة
إن تَوَانَى الدمُ في عروقكنّ عن بلوغها .
وبالفن أيضاً تزجّجين حاجبيك ،
وتُخفين عيوباً تشوب وجنتيك .
ولا تَخْشَىْ أن ينطفئ تألّق عينيك ،
أن تكحليهما بمسحوق الرماد ،
أو بزعفران شاطئيك يا نهر كيدنوس[20] .
وفي كتيّب صغير أنهكني تصنيفه ،
عدّدت أنواع الأصباغ التي تذكي من فتنتك[21] .
عليك به ،
فقد تعثرين فيه على ما يستنقذ جمالك من العيوب ،
فإن فنوني لا تتقاعس عن خدمتك .
وفوق هذا أقول لك ،
لا تدعي أحقاق المساحيق بادية للعيون فوق منضدتك ،
فخير لجمالك أن يكون الفن الذي يعالجه مستوراً .
بل من ذا الذي لا ينفر من طلاء يطغي ويلطّخ ملامح وجهك ،
يتراكم طبقات قد تميع من فرط ثقلها ،

هابطةً ترقد في صدرك الدافئ .
ما أبشع رائحة دهون تصّاعد من فراء شاة لم تُغسل ،
وخير أنواع الدهون تأتي من أثينا[٢٢] .
وحذار أن تستخدمي مرهماً من نخاع أنثى الأيل ،
ولا أنصحك بأن تنظفي أسنانك على ملأ .
حقاً أنه يُكْسبك جمالاً ،
لكن ما أقبح أن تفعلي ذاك علانية .
إليك تماثيل ميرون تنبض بالحركة[٢٣] ،
وتطوّف شهرتها آفاق الدنيا .
لقد كانت ذات يوم جمادا وكتلة صماء بلا روح .
والذهب يُصهر في البدء ثم يُشكَّل خاتَما ،
والثوب الذي ترتدينه كان من قبلُ كتلة صوف عَفِنة .
وجواهرك قبل صياغتها كانت شائهة خشنة ،
وها هي ذي الآن نفائس جذابة ،
نُقشت عليها فينوس العارية ،
تبدّت في صفحتها ،
تعصر جدائلها المندّاة بزبد البحر .
إذا جلستِ إلى منضدة الزينة فأشيعي
أنك مستغرقة في النوم .
فخير لك ألا تقع عليك عينٌ
حتى تفرغي من آخر لمسة .
لماذا تكشفين لي عن سر وضاءة وجنتيك ؟
أتعدمين وسيلة توصدين بها باب مخدعك ؟
ولِمَ تعرضين عملاً لّما يكتملْ ؟
فثمة أشياء لا يجوز كشف أسرارها للرجال .
لو لم تتكتّمي الكثير مما تعملين ،

لأثارت أعمالك اشمئزاز الكثيرين .
أنظري إلى تلك المشاهد المتألقة بلون الذهب ،
في المسرح المزخرف .
لن تخفى عليك رقة طبقة الذهب التي تغلّف الخشب ،
يُحال بينها وبينَ الناس حتى يتم لصقها ،
فتهيئة الجمال لا تكون إلّا في غيبة الرجال .
مع ذلك لا أنهاك عن تمشيط شعرك في حضرتهم ،
بحيث تسترسل غدائره متموجة فوق منكبيك .
وأنصحك ساعتها بألا تفقدي اتزانك ،
ولتكن وصيفتك في مأمن من سورة غضبك .
فكم استقبح سيدة تخمش وجه تابعتها بأظافرها ،
أو تخزّ بالدبّوس ذراعيها .
أيقني أنها تلعنك وهي تسوّي شعرك ،
بل تذرف الدمع والدم على جدائلك البغيضة .
ولتلزم صاحبة الشعر القبيح جانب الحذر ،
وتولى بابها حارساً أميناً ،
يحول بين الرجال والدخول .
أو فلتدلف إلى معبد « الإلهة الطيبة » [٢٤] .
حيث تجد من يسوّي لها شعرها .
ذات يوم بغتُّ عشيقتي في مخدعها ،
فاختلط عليها الأمر ،
ووضعت جُماع الشعر على الضِّد من وِضْعته .
ألاَ ناشدتُ الآلهة
أن تجنّب حتى أعدائي
ما جلّلها من عار !
وليكن هذا العار وقفاً على بنات البارت [٢٥] .

قبيحٌ ذاك الثور المسلوب القرون ،
قبيحٌ ذاك الحقل الأجرد من العشب .
قبيحةٌ الشجيرة المسلوبة من الأوراق .
وقبيحة كذلك من لا يجلّل رأسها شعر منسق .
أي سيميليه[26]
أي ليدا[27]
ما وجهّت نصحي إليكما ،
وكذلك أنت يا أوروبا يا غادة صيدا[28]
يا من حملها الثور الأسطوري عبر البحار .
وما عَنَيْتُك بقولي يا هيلينا
يا من طالب منيلاوس بعودتك إليه ،
ـ وما كان أشد حُمقه حين فعل ـ ،
ويا من أصرّ باريس على الاحتفاظ بك
ـ وما كان أبعده عن الحُمق حين فعل ـ .
إن جَمْعَ طالباتي من الجميلات والدميات ،
وعدد القبيحات دائماً يفوق الجميلات ،
اللاتي هُنّ في غنى عن عون الفن ،
وعن نصائحي .
ففاتنهن من سعد طالعهن .
وحين يسود البحر الهدوء ،
يخلد الملّاح إلى راحته .
فإذا عصفت ثورة الموج ،
لا يبرح مكانه في السفينة
بل يطلب العون من القادرين .
أقول لكن ،
ما أندر وجهاً لا تشوبه شائبة .

استرن عيوباً قد تعتور ملاحة وجوهكن
أو بهاء أجسادكن .
أقعدي إن كنت قصيرة ،
حتى لا تبدين جالسة بينا أنت واقفة ،
بل اضطجعي على الفراش ،
ومُدّي ساقيك تحت ثوب يُلْقَى فوقهما ،
وكأنه يسقط عليهما عفواً ،
حتى لا يتبين أحدٌ قامتك .
إن كنت نحيفة فاختاري ثياباً كثيفة النسج ،
واتركيها تتدلّى من كتفيك حتى عقبيك .
أما شاحبة الوجه
فلترتدي ثوباً تتخلله خطوط حُمْرٌ .
ولتستعن السمراء بسمكة فاروس [٢٩] .
واخف قدمك المشوهة في خُفّ أبيض كالجليد ،
ولا تَحُلّي رباط الخفّ عن عقبك إن كان ناتئ العظم .
واستري عظم الكتف بسترٍ إن كان بادياً .
وإن ضَمُر منك الصدر لفّي حوله شريطاً من قماش .
ومن كانت بدينة أصابعُها أو غليظة أظافرُها ،
فلتكفّ عن التلويح أثناء الحديث .

لويس ده بولوني : زيوس وسيميليه .
بإذن من متحف لومان



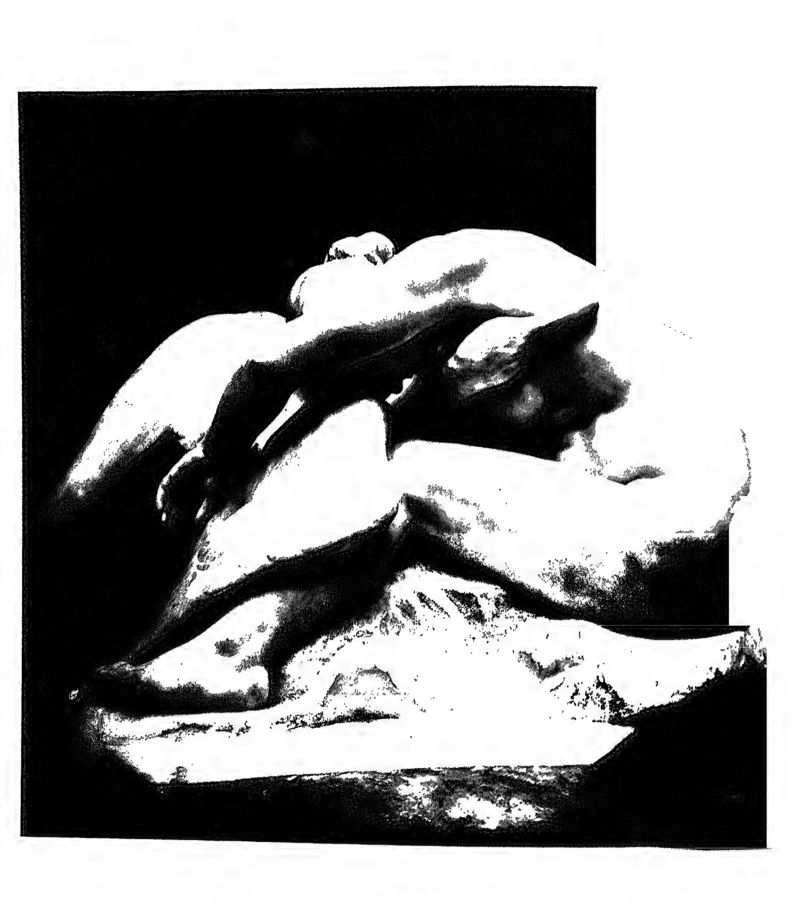
ومن كانت بخراء فلتشح بثغرها عن وجه عشيقها ،
ولتغلق فمها حتى تأكل .
وإن اسودّ في فمك ضرسٌ ،
أو شاه حجمُه ،
أو انحرف ،
فخير لك ألا تضحكي .

* * * *

حتى الضحك ، فلتتعلم سيدتي كيف تمارسه ،
فللكياسة فيه نصيب ، أي نصيب .
ليفترّ ثغرها حين تضحك في قصد .
وليقف اتساعُ غمّازة الخد عند حدّ .
ولتستر أسنانها السفلى بشفتها ،
ولتمسك عن هزّ خصريها مسترسلة في الضحك ،
ولتلقن كيف تضحك برنّة أنثوية .
ثمة من تشوّه وجهها قهقهة بشعة ،
ومن تظنها تبكي بينا هي تضحك .
وتلك التي تُرْسِل ضحكتُها صريراً كالأتان
المطلقة عقيرتها إلى جوار رَحَى الطاحون .
ما أبعد أغوار الفن .
فبالفن تبكي السيدة بأسلوب لائق ،
وتنتحب كذلك حين تريد وكيف تريد ،

بل تحرف بعض الحروف عن مخارجها الأصلية ،
فتتكلم بلسان يلثغ وفق مشيئتها .
وهذه هِنَةٌ تنبض سحراً
إذ تفتعل النُّطق الخاطئ عامدةً .
وثمة فن يدربّهن
كيف يشوّهن سياق النطق بهذا السحر .
فلتتعرفن إلى هذي الأمور كاملة ،
فما أجداها .
وأقول لكنّ
فلتتبخترن بخترة الأنثى .
للسير أساليب تَفْتن ،
قد تجتذب المجهول المُعْجَب
من حيث لا تدري المرأة ،
وقد تنفّره منها .
إليك امرأةً تؤرجح رِدْفيها في حذق ،
وتفسح للنسيم يتخلّل ثوبها المنسدل ،
بينا تدقّ الأرض بقدميها معتزّة .
وإليك ثانيةً تنهب الأرض بخطوات واسعة ،
كزوجة فلاح من أومبريا لوّحت الشمس وجهها .
أقول اعتدلن في مِشيتكُنّ ،
واعتدلن في جُل أمور الحياة ،
فثمة خطو يضفي عليك سمة الريفية الجِلْفة ،
وغيره يُسبغ عليك الإفراط في التكلّف .
وأقول أيضاً ،
خلّي أسفل الكتف وأعلى الذراع عاريين ،
تسهل رؤيتهما عن يسار ويُذكيان فتنتك .

أنت يا من بَشَرتك بيضاء كالجليد ،
أنا إن رأيت مثل هذه الكتف
لاندفعت إليها مقبّلاً أيان وُجدت .
بصوتهن الرخيم كانت « السيرينات » ،
تلك الكائنات البحرية الخارقات ،
يعرقلن جري السفن مهما بلغت سرعتها .
وحين سمعهن ابن سيزيفوس ،
كاد أن يفكّ وثاق الحبال من حول جسده [٣٠] ،
بينا كانت آذان رفاقه مسدودة بالشمع .
الغناء شديدُ الإغراء ،
فما أروع أن تدري النسوة كيف يغنّين ،
فكم من امرأة اتخذت من صوتها لا من وجهها ،
قوّادتها !
فليردّدن الأغاني التي يسمعنها
في دور المسرح الرخامية ،
وليتغنّين بالأناشيد الشرقية المؤثرة
الوافدة من ضفاف النيل .
وعلى الراغبة في غواية الرجال
أن تحسن إمساك ريشة الغمز بيمناها ،
والقيثارة بيسراها .
فأورفيوس ربيب جبال رودوبي ،
قد حرّك الصخور والقلوب بقيثارته ،
وأثار بحيرات تارتاروس ،
(وكيربيروس) الكلب ذا الرؤوس الثلاثة .
[أي أمفيون] أيها الآخذ بثأر أمك ،
لقد قَوِيت بألحانك على أن تحرّك الحجارة



ديبوا : ليدا والبجعة .
بإذن من متحف لوكسمبورج

لتشيد نفسها بنفسها أسواراً [٣١] .
ويُروى أن السمك الأبكم والأصم
قد أفصح عن نشوته ،
حين أصغي إلى أنغام قيثارة أريون [٣٢] .
وتعلّمي أيضاً أن تمسّي بكلتا يديك في رفق
أوتار الهارپ الفينيقي الساحر ،
فما أليقه بسويعات المرح .

ولتكن مألوفةً لديكِ ألحانُ ربّات الشعر ،
ملهمات كاليماخوس وفيليتاس شاعر كوس
وأناكريون السكير العجوز منشد ميناء تيوس .
ولتلمّي أيضاً بأبيات سافو شاعرة ليزبوس ،
ومَنْ أقدر من سافو على الإيحاء بالمجون !
ولتحفظي أقوال ميناندر شاعر الملهاة ،
الذي يَرْوي لنا كيف يخدع العبدُ « جيتا » رب البيت .
وجدير بك أن تعرفي كيف تلقين قصيداً لپروپيرتيوس الحاني [٣٣] ،
واحفظي أيضاً أبياتاً لجاللوس [٣٤] وتيبوللوس [٣٥] ،
وقصيد ڤارو [٣٦] عن الفروة الذهبية مبعث مأساة أختك يافريكسوس .
واقرئي قصة أينياس الهائم ،
وجذور روما النبيلة
في ملحمة لم تفقها أخرى شهرة بين اللاتين [٣٧] .
وقد تضيفين اسمي أيضاً إلى أسماء هؤلاء ،
فلن يكون مصير مؤلفاتي أن يُقذف بها في مياه ليتي [نهر النسيان] [٣٨] .
قد ينصحك أحدهم قائلاً :
اقرئي قصائد « أستاذنا » الأنيقة
التي يدرّب فيها الطرفين المتنافسين ،

أو اقرئي أجزاء قصيدة « الغزليات » الثلاثة .
واختاري منها ما تستطيعين إلقاءه بصوت رخيم .
أو جوّدي إلقاء إحدى « رسائل البطلات » ،
فهي آثار الشاعر الذي ابتدع هذا الفن ،
ولم يسبقه إليه سواه .
أي فويبوس
أي باكخوس ياذا القرنين
يا ربات الفن التسعة
يا ملهمي الشعراء
أنصتوا إلى ضراعاتي .
مطلبي أن تتقن المرأة فن الرقص ،
حتى إذا دار النبيذ لوّحت بذراعيها ساعة يُوجّه إليها الرجاء .
الراقصة الرشيقة فنانة
تُضفي عليها المسارح شُهرة كلما هزت رِدْفيها .
ما أشهى فتنة هذه الحركات المنسابة .
واخجلي أن أسوق إليكن نصائح في أمور هيّنة ،
ولكني أفضّل أن تعرف تلميذتي
كيف تلقي بالزّهر في حذق
وكيف تحسب بدقة
مدى قوة دفعها للنرد فوق المنضدة .
وددت لو تعرف أيضاً
متى تقذف بالثلاثة [٣٩] ،
ومتى تستولي على ربحها ،
ومتى تتحدي .
وددت أيضاً لو تجيد اللعب الحذر بالشطرنج ،
فما من شك في أن البيدق ينهزم أمام اثنين ،

والملك إذا انفصل عن مليكته تعرّض للأسر ،
أو يرغمه الخصم على أن يتقهقر .
وإن كنت تلعبين كرة المضرب
ولَمَسْتِ الكراتِ بمضربك العريض ،
فلا تدفعي سوى الكرة
التي تقصدين أن تبلغي بها المرمى .
وهناك لعبة تحتاج لمهارة بالغة ،
تُرسم فيها خطوطٌ على لوحةٍ
تشكّل خانات بقدر شهور السنة ،
على كل من طرفيها ثلاثة بيادق ،
والفائز من ينجح في نقل بيادقه إلى صف مستقيم آخر .
تعلّمي هذي الألعاب كلها ،
بل ابتكري ألفاً مثلها .
فلا يليق بالفتاة أن تجهل اللعب ،
وما أكثر ما تفوزين من خلاله بالحب .
أن تبرعي في الرمي بزهرك أمر ميسور ،
وأعسر منه أن تضبطي مشاعرك أثناء اللعب ،
فنحن في غمرة اللعب وحماسه
نكشف عن خفايا قلوبنا ونفقد اتزان عقولنا ،
ويتسلل الغضب إلى صدورنا ،
وهو شر مستطير .
يشدّنا الحرص على الكسب ،
فننزع إلى المشاحنة ونجني الأسف .
يتبادل اللاعبون اللّوم ،
ويرتفع صدى الصراخ في الجو ،
ويتضرع كل لاعب إلى الآلهة الغضبي كي تناصره .

لحظتها لا يثق الجار بالجار ،
وتتصاعد الشتائم والسباب ،
ويطالب الجميع بمنضده بديلة
[تقهر النحس] .
ما أكثر ما رأيت وجنات اللاعبين مندّاة بالدموع .
فليقيكنّ الإله چوپيتر مثل هذه المشاجرات النكراء ،
خاصة من تحرص منكن على الاستئثار بقلب رجل .
هذي ألعاب وهبتها الطبيعة الكسول للمرأة ،
بينا يلهو الرجال بما هو أشق ،
فمن نصيبهم الكرات السريعة والرماح القصيرة والأطواق ،
وأسلحة المبارزة والجياد المدرّبة على الركض في الحَلْبة .
ولم تُخلقِي أنت كي تتبارى في حقل مارس ،
أو تغوصى في مياه العذراء [٤٠] القارسة البرد ،
أو تسبحي في تيار نهر التيبر التوسكاني .
والأجدر بك أن تتهادي في ظلال رواق پومپيوس ،
عندما تلذع الرأس أشعة جياد العذراء السماوية [٤١] .
ولك أن تزوري القصر المقدس لفويبوس المتوّج بأكاليل الغار [٤٢] ،
فهو الإله الذي أغرق سفن المصريين
في أعماق البحار [في معركة أكتيوم] .
ولتزوري روائع القصور التي شيّدتها أخت أوغسطس وزوجته ،
ثم زيّنها [أجريپا] زوج ابنته [چوليا] بمشاهد أمجاد الأسطول [٤٣] .
ولتتردّدي على محاريب بقرة ممفيس
حيث يُحرق البخور [٤٤] .
ولتزوري ملاعبنا الثلاثة ،
ولتظهري في أبرز أماكنها [٤٥] .
تأملي حَلْبة الملعب الملطّخة بالدماء الساخنة ،

وارقبي ذلك العمود الذي تدور من حوله مركبات السباق ،
بعجلاتها الخاطفة البريق .
ما خفي يظل مجهولاً أبداً ،
وما هو مجهول لا يبتغيه أحد .
فماذا نجني من وجه جميل لا تقع عليه عين ؟
وحتى لو كنت تفوقين ثاميراس [٤٦] وأموبيوس [٤٧] في روعة الإنشاد ،
لما استمتع أحد بقيثارة ، مجهولٌ عازفُها .
لو لم يصوّر ڤينوس المثّال أبيليس ابن جزيرة كوس ،
لظلت راقدةً مجهولةً في أعماق البحر ،
وماذا تُراهم ينشدون أولئك الشعراء المُخلّدون ،
هل ينشدون إلا مجدهم وحده ؟
تلك غايتنا مهما تجشّمنا من عناء .
وقديماً كان الشعراء ينعمون في كَنَفِ الملوك والزعماء ،
وكان منشدو « الجوقة » يربحون المال الوفير ،
وكان اسم الشاعر مقدساً وجديراً بالتبجيل ،
ولكم مُنح المال بغير حساب .
فالشاعر إينْيُوس [٤٨] ربيب جبال كالابريا ،
كان جديراً بأن يُدفن إلى جوارك ياسكيبيو [٤٩] العظيم .
أما اليوم فقد بات الشاعر غير مكرّم ،
لا يُجْزي بغير إكليلٍ من اللبلاب .
وغدا السهر في خدمة ربات الفنون العليمات صِنْواً للكسل والبطالة .
ورغم ذلك ما زال الشعراء يكافحون ويكافحون في سبيل المجد .
من منكم كان يسمع عن هوميروس ،
لو ظلت الإلياذة الخالدة في طي الكتمان ؟
ومن منكم كان يعرف داناي ،
لو أنها استقبلت شيخوختها وهي سجينة برجها ؟ [٥٠]

أيتها الفتيات الجميلات ،
خير لكن أن تنخرطن في الزحام ،
ولتعبر أقدامكن عتبات بيوتكن إلى خارجها ،
من آن لآخر .
فإن أنثى الذئب تتربص بأكثر من حَمَل ،
قبل أن تختار فريستها .
وكذلك ينقضّ نسر چوپيتر على طيور عدّة ،
قبل الفتك بأحدها .
فلتستعرض الجميلة مفاتنها على ملأ ،
فقد يفجؤها من يولع بها .
ولتكن دائما تواقة أنّى قصدت .
إلى إثارة الإعجاب في نفوس الرجال .
ولتكن بما يبرز مفاتنها واعية دوما ،
فالحظ يهيمن على كل المصادفات .
اتركي الشّص يتدلىّ ،
وعسى أن تلقفه سمكةٌ في الجدول ،
في وقت لم يخطر لك على بال .
وما أكثر ما تهيم الكلابُ عدْواً على وجوهها في الجبال والوديان ،
فيقع الوعل اعتباطاً في شراك القنص .
وحين كانت أندروميدا موثقةً على الصخر ،
أتراها كانت تأمل أن يرقّ إنسانٌ لدمعها المنسكبِ؟
وما أكثر ما تعثرين على الزوج الجديد في جنازة الزوج المتوفي !
لحظتها لكِ أن تنطلقي نادبة ،
وأن تمضي بشعرك المنفوش ،
فلمرآك على تلك الحال فتنة .
تجنّبي من الرجال من يتكلف الأناقة ،

ويسوّي شعره بعناية مفرطة .
فما يصبّه في أذنك من معسول الكلام ،
قد ردّده لألف امرأة قبلك .
عيناه زائغتان وخياله منفلتٌ لا استقرار له ،
فما تطيق امرأةٌ حيال عاشق يبزُّها زينة !
بل إن له من العشاق رجالاً يفوقون عشاقك عدداً !
قد تستنكرين مقالي ، ولكن حذار ،
فلو أن أهل طروادة قد استجابوا لنصح پريام ،
لظلت طروادة باقية حتى اليوم .
هناك رجال يحاصرون النساء متظاهرين بالحب ،
على حين أن تقرّبهم منهن
لا هدف له غير الربح المفحش .
حذار أن تخدعك شعورهم الملساء
الممزوجة بالدهون والطِّيب ،
أو يغريك طرف حزامه المعقود برشاقة ،
أو يفتنك رداء التوجا رقيق النسج ،
ولا عدد الخواتم يجمّل بها أصابعه .
فلعل أشدَّهم أناقة لصٌ لا يهيم بك بل بما تتحلِّين به .
فما أكثر ما تصيح نساءٌ في ساحة الفورم :
« رُدّوا إليّ حاجياتي . رُدّوا إليّ حاجياتي » .
أما أنت يا ڤينوس ، فبلا اكتراث
تتأملين هذه المشاحنات الرخيصة ،
شامخة من علياء محاريبك المتألقة بوفير الذهب ،
أنت ووصيفاتك حوريات آبيا .
وكم من خليع طبّقت شهرته الآفاق ،
ــ غير جديرة بتقديرنا ــ

من تقع فريسة له .
تعلّمي من كوارث غيرك كيف تقين نفسك ،
ولا تفتحي بابك للعاشق الغادر .
أي عذارى أثينا ، لا تصدّقن قَسَم ثيسيوس ،
فليست هذه أول مرة يموّه بالكذب قَسَمه .
وأنت يا ديموفوون يا من ورثت موهبة ثيسيوس في الكذب ،
كيف نأتمنك بعد أن حنثت بوعدك لفيليس ؟
إذا جاءكن الرجال بالوعود ،
فارددن عليهم بوعود في عدد كلمات وعودهم .
ولو منحوكنّ هباتٍ ،
فامنحنهم مقابلها من الهبات التي ينشدونها ،
فالمرأة التي تتلقى من عاشقها الهدايا ،
ثم تحرمه من لذة هي من حقّه جاحدةٌ كافرة ،
كُفر من يُطفيء شعلات معبد الإلهة فستا ،
أو من يسرق الأواني المقدسة من معبدك يا إيو ابنة إيناخوس ،
أو من تُرسل عاشقها إلى حتفه ،
إذ تسقيه سُمَّ البيض مخلوطاً بمسحوق الشوكران .

* * * *

موهبتي في الشعر تدعوني الآن
إلى طَرْق موضوعنا عن قُرب .
تعالىْ يا ربة شعري واكبحي جماح زمامي ،
ولا تدعي مركبة شعري تندفع على غير هدى .
ليبعث إليك عاشقُك بالرسائل منقوشةً على لوحات خشب التنّوب ،
مهيئاً بذلك جو الغزل ،
ولتتلقها عنك وصيفتك .
واكتشفي من خلال مخطوطه إن كان يتظاهر بالحب ،
أو يعبّر في شجن صادق عما يختلج بصدره .
وبعد فترة ابعثي إليه برسالة ،
فتأخير الجواب مهماز يَهِيجُ العشاق ،
على ألاّ يطول التأخر كثيراً .
ولا تَعِدِي في يُسرٍ بما يضرع به إليكِ ،
ولا ترفضي في عناد مسرف ،
بل دعيه يأمل ويخاف معاً .
وفي كل مرة تكتبين إليه ،
امنحيه أملاً أقوى ، وهوّني من مخاوفه .
أيتها النساء ،
اخترن كلمات رقيقة تكتبنها ،
ولتكن كلمات مألوفة ،
فالكلام المألوف يبعث في النفس الراحة .
كم نجح مكتوبٌ في أن يؤجّج شعلة الحب
في صدر عاشق متردّد
وكم آذت عبارةٌ مُغْربةٌ علاقات أنثى جميلة .
ومع أنك لا تضعين فوق جبينك إكليل العُرس الشرعي
فلك سيّد ،

ما أشوقك إلى خيانته .
أُكتبي رسائلك بخط أَمَةٍ أو وصيفةٍ ،
ولا تأتمني عبداً مجهولاً على حمل عهودك ،
فكم من امرأة لقيتها وقد شَحُبَ منها اللونُ ،
وعذّبها إفشاء سرّها بشقاء دائم .
كم يشينُ الرجل
أن يحتفظ بمثل هذه العهود المسجّلة ،
لكأنه يحمل بيده صاعقة من بركان إتنا ،
وكما يبيح القانون مبدأ السلاح بالسلاح ،
أقول لك : « التدليس بالتدليس » .
درّبي اليد التي تكتب ،
على نسخ أنواع متباينة من الخطوط .
[آهٍ . لتُهلك الآلهة رجالاً يجعلون مثل هذه النصيحة ضرورة !]
أن تكتبي الجواب على اللوح .
قبل أن تسوّي طبقة الشمع ،
أمر غير مأمون ،
فقد يظهر خط رسالة قديمة لك تحته .
ودعي من يكتب ، يخاطب العاشق وكأنه أنثى ،
وكلما أمليت : « هو » ،
فليكتب : « هي » .
وإذا كان لي أن أتدرّج من تافه الأمور إلى أجَلِّها ،
فإني أبْسُط للريح شراعي وأقول :
اضْبِطي ثورةَ انفعالِك
إن شئت الاحتفاظ بجمالك .
فالهدوء الوادع يليق بالبشر ،
والغضب الهائج أليق بالحيوان ،

يخلّف الوجه منتفخاً بالثورة ،
ويملأ العروق بدم داكن ،
فتُبرق العيونُ بوحشية عيونِ الجوْرجونة .
قالت باللاس حين رأت وجهَها على صفحة الجدول :
أُعزب عنّي ، أيها المزمار الشقيّ ،
فلستَ بالذي أشوّه جمالي من أجله[1،0] .
وأنت كذلك .
فلو أنك وقعت أسيرة انفعال عنيف ،
ثم تأملت خلال سَوْرة غضبك في مرآة ،
ما تعرّفت نفسك أبداً .
والعجرفة تشوّه جمال ملامحك ،
فالحب لا يُكتسب بغير العين الحادبة .
ما أبغض الخُيَلاء تزيدُ عن المألوف .
وصدّقي قول خبير ،
فما أكثر ما يضم الوجه العابس
بذور الكراهية والعداء .
فإذا تطلّع إليك متطلّع فتطلّعي إليه ،
وإذا ابتسم برقة فابتسمي له ،
وإذا لوّح لك أومئي برأسك .
بعد هذا التمهيد ،
يستطيع كيوبيد أن يجرّب سهامه الحادة
التي يَنْزِعُهَا من كِنانته .

* * * *

وإني لأنفر من النساء المكتئبات .
فليهنأ أچاكس بحب تِكْمِسَا [٥٢] .
أما نحن فللمرح نميل ،
تَفْتِنُنَا المرِحات .
لن أسألك يا أندروماخي ولا أنت يا تِكْمِسَا ،
أن تغدو إحداكما عشيقتي يوماً .
ما إخالكما ضاجعتما زوجيكما أبداً ،
لولا الذريةُ دليلٌ .
أَوَ يُعْقل أن تكون تلك المسرفة في اكتئابها ،
قد همست في أذن أچاكس يوماً : « يا نور حياتي ! »
أو همهمت بكلمات تثير الخِدْنَ الحبيب !
دعوني أُدل بأمثلة على فني الرشيق
من أحوال بالغة الجدّ .
فلأتمثّل بِحُنْكَة قائد يُشرف على جيشه ،
إنه يعهدُ للضابط حامل عصا الكرم [٥٣] .
قيادة مائة جندي ،
ولغيره قيادة الفرسان ،
ولثالث حماية البيارق .
على النساء كذلك أن يزنّ
قدرة كل منا في ميدانه ،
وأن يعهدن إلى كلٍ منا نصيباً :
الغني يمنح الهدايا ،
والمحامي يشير بالفتوى ،
والخطيب يترافع في قضية موكّلته ،
أما نحن صُنّاع الشعر ،
فلا نرسل لحبيباتنا غير الأبيات .

نحن الشعراء لحياة الهوى أوفق ،
نتغنّى بجمال المعشوقة في أطراف الدنيا .
فكم ذاعت شهرة نيميسيس وسنثيا ،
وبلغ اسم ليكوريس شواطيء المغرب والمشرق [٥٤] .
وكم من سائل يستوضحني من هي كورينا ؟ [٥٥]
ما أبغض الخيانة على الشعراء ،
وما أقدر الشعر على خلق الإنسان الراقي .
لا يغرينا بريق المال ولا طموح جامح .
لا نبالي سوق « الفورم »
وأرباحاً تدرُّها .
الراحة والعزلة ما ننشد .
ما أسرع ماتقتنص الحب ،
يلتهمه لهيبنا النهم .
يا ويلنا ، نسرف في الإيمان بالحب
ولا نثق بغيره .
فنون السلام التي نمارسها
تُكسب أخلاقنا حناناً وكِيَاسة ،
وأسلوبُ حياتنا يجاري أسلوبَ شِعرِنا .
رفقاً بنا أيتها الجميلات ،
فلا تحرمن الشعراء مفاتنكن ،
فالألوهية فيهم كامنة ،
وربّات الفن بعطفهن يشملنهم .
في كل منا إله يكمن ،
ونحن على صلةٍ وثيقة بالسموات ،
يهبط الوحي علينا من علياء .
ما أبشعه جرماً ،

أن تسألن الشاعر الفذ أجراً .
وآسفاه ! هذا جرم لا تتورع عنه المرأة .
ومع ذلك ، أقول لك اصطنعي المراءاة ،
إياك والجشع يطفو على قسمات وجهك .
فما أجزع العاشقُ الحديث العهد
إذا لمحت عيناه الشراك .
الفارس الماهر لا يقود المُهْر الحديث الترويض ،
مثلما يقودُ الجواد الذي ألف اللجام .
فاتخذي منهجين متباينين
في اقتناص الشباب اليافع والسّن الرشيد .
فإذا أتاك المجنّد الساذج
الذي لم يخض معارك الحب من قبل
وسقط في فراشك فريسة أولى ،
فلا تخلّي بينه وبين أن يعرف امرأة سواكِ ،
واقهريه على أن يتعلق بك وحدك .
فالنتاج الغض في حاجة إلى سياج مرتفع يذود عنه .
واجهدي حتى لا تنافسك غريمة ،
فطالما أمسكت بالزمام في يديك فأنت مليكة .
العرش والحب كلاهما لا يطيق المشاركة ،
ولا يأمن لها .

هذا حال المبتديء ،
أما المحنّك فيأتيك رويداً رويداً ،
ويدنو من الحب بحرص شديد .
ويلقي في سبيله ما لا يحتمله المبتديء .
لن يحطّم الأبواب ، أو يضرم فيها النار ،

ولن يخدش وجنات عشيقته بأظافره ،
ولن يمزّق رداءه ولا رداء حبيبته ،
ولن يجذب شعر خليلته غلاً
حتى يستقطر من عينيها الدمع .
هذي أعمالٍ لا يأتيها غير ذوي النزق من الصبيان
الذين يتلظّوْن جوى .
أما المحنك فيتقبل أمرّ الآلام برباطة جأش ،
بينا هو يحترق ،
كالنار المتسلّلة بطيئاً في القش النديّ ،
أو في الخشب المقطوع وشيكاً من سفوح الجبال .
هذا النوع من الحب مأمون البقاء .
أما الآخر ،
وإن كان أغزر متعة فهو أقصر عمراً .
فلتقطف يَدُكِ عَجِلةً الفاكهة العابرة .

* * *

فلتزح الستار الآن ،
إذ فتحنا أبوابنا للعدو .
ولنكسب ثقة الغير في عهودنا ،
لا بالصدق الساذج ،
بل تحت غلالة
من حيل خادعة .
فما تمنحينه في يُسر لا يهب الحب طول العمر ،

فلتجعلي من أساليبك معه ألواناً .
صدّيه برفق من حين إلى حين ،
ودعيه يرقد قدّام بابك الموصد ،
يصيح آه منك أيها الباب العتيد .
خلّيه تارة يلعب دور المتوسّل ،
ويمثل دور المهدّد تارة أخرى .
نحن الرجال لا نُسيغُ دَوْماً الاستسلام العذب .
تَدِّينا من آونة لأخرى بعصارات مُرّة .
فكم من سفينة غرقت في نسيم مُواتٍ .
وكم يفوّتُ الاستسلام العذب
على النساء الاحتفاظ بحب أزواجهن ،
فبه ينال الأزواج ما يشاءون حين يشاءون .
هب أن هناك باباً إلى مخدعها .
يتصدّره حارسٌ يَحْجُبهك بصوت عنيد :
« لن تعبر » .
عندها يا سيدي
والباب موصد في وجهك
سوف يشتعل منك القلبُ حباً .
وحينذاك يكون الأوان قد آن يا سيدتي ،
كي تَسُلّي السيفَ من غِمده ،
وتبارزي بحدّ ماض .
ولست بغافل عن أن هذه الأسلحة التي مَنحتُكِ إياها ،
ستسدّدينها إلى صدري يوماً .
أما العاشق الذي وقع لتوه في شراكك ،
فأوهميه أنه وحده صاحب الحق في مخدعك .
وبعد قليل أيقظي فيه الشعور بوجود منافس ،

وبأن غيره يشاركه فراشك .
إن فاتتك هذه الحيل ذَوَى حبُّه ،
فلا يلبث الجواد أن تفترُ هِمّته ،
بعد أن يتخطى غيره من الجياد في السباق .
وشعلة حبّنا الذاوية تتأجّج من جديد ،
حين يَمَسُّها وخزٌ يسير .
واعترف أنا الآخر ،
أني ما قويت على المضي في حب مديد ،
لولا نكسة توقظني من وقت لآخر .
لا تقدّمي له أسباباً واضحة لما ينتابه من شك .
وإذا تألم حقاً ،
فاحرصي على أن ينبع ألمه من وحي خياله ،
لا من حقيقة ارتكبتِها تَعَرَّفَ عليها .
ومما يثيره يَقْظَةُ زوج فظ قاس ،
أو غِلْظَةُ عبدٍ يحرس الباب .
والمرأة التي يظفر بها عاشقها بغير عناء ،
لن تكون أحب النساء إلى قلبه .
حتى لو كنت طليقة مثل تاييس[56] من كل قيد ،
فتظاهري بمخاوف موهومة تتهدّدك ،
ولو كان يسيراً عليه أن ينفذ إليك من الباب ،
فادفعيه بدهاء لكي يقفز إليك من الشباك .
وارسمي سمات الجزع على وجهك .
ومُري وصيفة لمّاحة
أن تقتحم بابكما صائحة :
« قد افتضحنا ، وقُضي علينا »
عندها أخِف الشاب المذعور في مخبأ ،

ومن آونة لأخرى منيّه بمُتع آمنة ،
حتى لا يخال أن لياليك غيرُ جديرة بما يتكبد .

* * * *

أوشكت أن أُغْفل وصف الأساليب
التي تخدعين بها زوجاً ماكراً أو حارساً يقظاً .
فمن الخير أن تخشى الزوجةُ زوجَهَا ،
ومن المألوف أن يحرسها زوجُها أدق حراسة ،
ولكن لا يسوغ له أن يتجسس عليك
رغبة في إذلالك .
هذا ما لا يجوز لك أن ترضَيْه .
أنت يا من أعتقك « البريتور» بصولجانه [٥٧] ،
تعالي إليّ .
سألقّنك أسرار مخادعتهما ،
ولو انتشر من حولك حراسٌ بعدد أعين أَرْجُس[٥٨] ،
لأفلتِّ منهم جميعاً .
فكيف لحارسك ـ بحق الآلهة ـ
يحول دون تسطيرك رسائل العشق ،
في فترة لك أن تقضيها داخل حمامك ؟
أَوَيستطيع أن يمنع خادمة لك ،

من أن تحمل أسرار غرامك
في لوحات تخفيها تحت وشاحها أو في جوربِها ،
أو بين باطن القدم وخُفِّها ؟
وهي أن حارسك يسدّ عليك المنافذ كلها ،
فلتتخذي من ظهر نَجيّتك لوحات الكتابة ،
ولتنقشي كلماتك على جسدها كله .
وثمة نوع من الكتابة أراه آمناً يخفي عن العين ،
هو الكتابة باللبن الطازج ،
فإذا غُشِّيَ بمسحوق الفحم قُرئت حروفه .
وثمة طريقة أخرى ،
أن تكتبي بعود من نبات الكتان المبلّل ،
فينقش على اللوحة مالا تراه العين إلاّ فيما بعد .
حاول أكريسيوس جَهْدَ الطاقة
أن يعزل ابنته داناي .
وتسنّى لها مع ذلك
أن ترتكب جريمة ،
ارتقت بأبيها إلى مرتبة الجَدّ !
وماذا في طوق الحارس أن يأتيه
بينا تغصّ المدينة بالمسارح ؟
تغشى الفتاة سباق المركبات متى شاءت ،
وتدخل المعبد المحرم على تابعيها من الرجال أن يلجوه ،
ذلك المعبد الذي تُمجّد فيه بقرة فاروس [إيزيس] بالمصلصلات .
وحين تدفع « الإلهة الطيبة »
كل الرجال بعيداً من حول معابدها ،
أَعَصِيٌّ على البعض أن يتسلّل ؟
أعسيرٌ بينا يقف الحارس الغافل

منشغلاً خارج أسوار الحمامات
برعاية ملابس سيدته ،
أن ينساب العاشق إلى [حوض الماء] ؟
وحين تلحّ الحاجة ،
فكثيراً ما تَزْعُم الصديقة الماكرة
أنها طريحة الفراش لمرض ألمّ بها .
ومع ادعائها المرض ،
فإنها تخلّي فراشها لصديقتها
[كي يخلو بها عشيقها] .
أليس في اسم المفتاح البديل ،
المعروف بمفتاح الزنا
ما يشي بالنية من استخدامه ؟
أليس الباب هو الطريق الأوحد إلى مخدع المرأة ،
فتخدير حارس الباب ميسور مهما بلغ فضوله ،
بأن تسقيه نبيذاً قوياً
من عصارة كروم سفوح أسبانيا [٩] ،
وإلى جانبه عقاقير تبثّ النعاس العميق ،
فتُغرق العينَ المهزومة في الظلام المُدْلَهِمّ
الذي يعلو نهر ليثى
[نهر النعاس والنسيان] .
وطريقة أخرى سهلة ،
هي أن تَشْغَلَ وصيفتك ذاك الحارس البغيض
بمغازلة تهدف بها صرف نظره ،
وتمكث بجواره أطول مدة .
لماذا أضيع وقتي في هذي النصائح المألوفة
في حين أن رِشْوة صغيرةً تكفي لشراء ضمير الحارس ؟

صدّقيني ،
الرِشوة تشترى الآلهة والبشر جميعاً .
فجوبيتر نفسه يستنيم دعةً ،
إن منحناه العطايا .
فما بالك بالغِرِّ
إذا كان الحكيم قَبِل الرشوة ؟
الهدية ذات مفعول ساحر ،
تَكُمُّ حتى أفواه الحكماء .
ولكني أقول لك ،
لا تعطي الأتاوة للحارس
سوى مرة كل عام ،
لأنك لو أطمعته يسألك أكثر من مرة ،
لا يبرح يمدّ يده .
أذكر أني مرة حذّرت ـ ويا أسفي ـ
بضرورة أخذ الحيطة من الأصدقاء .
ولكن تحذيري لا ينسحب على الرجال وحدهم ،
لأنك إن أفرطت في منح الثقة ،
لتسنّى لنساء غيرك أن يحصدن مُتعاً من حقك ،
ولاقتنصت غيرُك الأرنبَ البري الذي خَصَصتيه بمطاردتك إياه .
فصديقتك السخية التي تعيرك مخدعها ،
ما أوشكها أن تغازل عشيقك .
وأقول كذلك ،
لا تحوطي نفسك بوصيفات فاتنات ،
فكم من وصيفة استأثرت بعشيق سيدتها .
أسوق ذلك من تجربتي . .

إلى أي سبيل تسوقني شطحاتي ؟



تييبولو : چوپيتر وداناي .
بإذن من المتحف القومي باستكهولم

ما لي أترك لساني يجرفني في هذا التيار ؟
ما لي أعرّض صدري العاري لرشق السهام ؟
ما لي أخون أترابي من الرجال ؟
فالطير لا يكشف للصياد السبيل إلى صيده ،
والوعلة لا تمدّ الكلاب بأسلوب طرادها .
ومع ذلك إذا أردتِ أن أستطرد في إسداء خدماتي . فهاكها .
ولأسلّحن نساء ليمنوس بسيوف تحمل في نصالها منيّتي [٦٠] .
أوهمينا ــ وهو أمر جد يسير ــ
أننا محطّ العشق ،
فما أسرع تصديق أصحاب الشهوات المحتدمة .
على المرأة أن تبعث للفتى بنظرات تنضح بالحب ،
وأن تطلق زفرات تصّاعد من أعماقها ،
وأن تسائله عن حجّة تأخيره .
ولا بأس أن تمزج هذا كله بقطرات الدمع ،
وأن تتظاهر غاضبة بالغيرة من منافسة تتصوّرها .
ولتخمش بأظافرها وجهه .
لحظتها ما أسرع ما يقتنع بأنها مدلّهة به ،
ولا يلبث أن يَسْرِي في قلبه فيضُ العطف ،
ويناجي نفسه :
« ما أشقاها بِهَوَاها » .
وإن كان من المختالين ،
يعشق النظر في مرآته ،
فما أسرعه إلى أن يصدّق
أن الإلهات أنفسهن قد يولعن به .
وإن ظَلَمكِ لا تبالي ،
ولا تكترثي إن طرقت أسمَاعكِ شائعة عن منافسة أخرى ،

بل لا تسرعي إلى التصديق ،
فإن مآسيَ التصديق السريع
تبدو لك من قصة پروكريس[٦١]
بجوار سفوح جبال هيميتوس الأرجوانية المزهرة ،
ثمة ينبوع مقدس تكتنفه مروج سندسية ،
تملؤها أشجار معتدلة الارتفاع ،
تتجمع في أجمة .
وبين العشب تنمو شجيرات القطلب ،
وكذا الغار وحصى البان والآس الداكن ،
وكلها شجيرات ذات أريج عاطر .
وورق البقس الكثيف لا يغيب عن ذاك المكان ،
ولا شجر الطرفاء الهش ،
ولا الصنوبر المُسْتَنْبت ،
ولا البرسيم الرهيف .
والغصون المورقة تتأوّد مع هبّات النسيم العليل ،
والرياح الخفيفة المنعشة ،
وقمم أعواد العُشب ترتجف في مهب الريح .
كاد النوم الهادىء يغلبُ كيفالوس ،
شأنه دوما في ذاك المكان .
حين يأخذ مضجعه
منهك القُوى إثر رحلة صيد شاقة ،
تاركا وراءه خدمه وكلابه .
فيتغنّى منشدا :
« أقبلي يا آورا ربة النسيم
أقبلي يا آورا الهائمة
اشرحي لي صدري

وأطفئي حرارة حلقي ».
وشى المغرضون بهذه المناجاة إلى زوجته العَفَّة .
وما لبثت پروكريس حين سمعت اسم آورا
أن خالتها غريمة ،
فارتجّ عليها وغاب عنها الرشد ،
وشحب منها الوجه شحوب الأوراق الذابلة حول عناقيد العنب ،
عندما تلفحها رياح الشتاء المبكرة ،
أو شحوب ثمرات السفرجل
حين يكتمل نضجُها فتميل بها غصونها ،
أو شحوب ثمار القرانيا قبل بلوغها أن تكون طعاماً .
وما أن ثابت إلى رشدها
حتى مزّقت عن صدرها رداءها الرفيف ،
وخدشت بأظافرها خدّيها البريئتين ،
وشردت في الطرقات تعدو هائمة كأن بها مسّاً ،
يتطاير شعرها خلفها ،
لكأنها من عابدات باكخوس
مسّها الترسوس .[٦٢]
وحين دنت من الغابة
خلّفت صديقاتها في الوادي ،
وتسلّلت وحدها بخطوات صامتة إلى أعماق الغابة .
تُرى ماذا كانت مشاعرك يا پروكريس ،
عندما تربّصتِ في قلق مشبوب ترقبين زوجك ؟
أي نار كانت ترعى قلبك الملتاع ؟
متوقعة أن تصل آورا المزعومة ،
وأن تقع عيناك على الأمر المشين .
ولكن سَرْعان ما أسفتِ على المجيء .

لأنك كنت عازفةً عن أن تشهديه متلبّساً .
بَرَقَت لك السعادة تارة ،
وطوّح بك الحب هنا وهناك تارة أخرى .
فكل ما حولك يقيم لك الدليل على تصديق الوشاية .
ها هو ذا المكان ،
وها هو ذا الاسم ،
وها هي ذي القصة التي طرقت سمعك ،
وها هي ذي الغريزة المُهلكة
التي تكمن في نفوس العشاق ،
فيصدّقون توّاً ما يخشون أن يصدّقوه .
اشتد خفقُ قلبِها حين شهدت العُشبَ مائلاً تحت وطء الأقدام ،
وشمس الظهيرة قد قصّرت الظلال .
وتأملت المشرق والمغرب ،
وكلاهما منها على بُعْدٍ متساوٍ .
وها هو ذا كيفالوس بنميركوريوس الإله السيليني
يفد إلى الغابة ليغسل من مياه الينبوع وجهه البراق ،
وپروكريس تختبيء على مقربة منه
ترقبه من حيث لا يراها ،
بينما يمزق الانتظار قلبها .
يعود ليستلقي على العشب كما اعتاد ،
ويصيح من جديد : « أقبلي أيتها النسائم ،
أقبلي يا آورا الحانية »
وحين أدركت پروكريس التعسة خطأها
أفاقت ،
ودبّ اللون في بشرتها ،
نهضت منطلقة كي تضم حبيبها ،

وحين همّت ندّ عن أوراق الشجر حفيف .
فظنّها كيفالوس صيداً ،
ووثب إلى سلاحه .
ما هذا الذي تَهُمُّ به أيها الشقيّ ؟
ليس هذا بحيوان .
ألق بقوسك .
ويلاه !
اخترق سهمُك صدر الزوجة .
صاحت متهاوية : « وا مصيبتاه !
اخترق السهمْ صدرَ من تهواك ،
صدراً مطعوناً بسهام حبِّك من قبلُ يا كيفالوس .
أموتُ في غير أواني ،
ولكن لم تلحقني مهانة منافسة أخرى ،
مما يجعل ضريحي يقرّ هيّناً فوق عظامي .
روحي تصعد صوب السماء
تحملها « أنسامٌ » انتابني الشك حيالها ،
ما أشقاني ،
إني أحتضرُ
فأغْلق عيني بتلك اليد التي أعشقُها » .
ها هو ذا كيفالوس يرفع جسد زوجته المحتضرة ،
يضمّه إلى صدره المكلوم ،
ويغسل جرحها القاتل بدموعه المتدفقة .
وها هي ذي روحها تنسلّ ،
وتسرى رويداً رويداً هاربة من صدرها الطائش ،
ويتلقّى حبيبها الشقيّ أنفاسها الأخيرة بشفتيه .

* * * *

ولنعد بعد ما فات إلى ما كُنّا فيه
إذا كان لقاربي المُنهك
أن يدرك مرفأه ،
فلا معدي عن أن أتناول أموراً مكشوفة .
أراكِ قلقةً ترقبين أن أقودك إلى الوليمة
وتنتظرين مني النصح حتى تبلغى بابها :
فلتصلي إذن متأخرة ،
وليكن نفاذك إليها في رشاقة ،
بعد أن تكون المشاعل قد أُوقدت ،
فالتأخر
ديّوسة شهيرة .
ومهما بلغ بك القبح
فستبدين في أعين السُّكارى مليحة ،
والليل الحالك يعينك على إخفاء عيوبك .
تناولي الطعام بأطراف أناملك ،
فآداب المائدة فرضٌ واجب ،
ولا تدعي الدُّهن يلطّخ بَشَرتك ،
ولا تَطْعَمي في بيتك قبل مجيئك
ومع ذلك لا تتناولي من الطعام
إلاّ أقل مما تدفعك إليه شهيتك .
لو أن ابن پريام رأى هيلينا وهي تأكل شرهة ،
لانقلب حبه لها كراهية ،
ولعاتب نفسه وهو يردد : « حقاً لقد كان ما غَنَمْت امرأةحمقاء » .
وأليق بك أن تشربي ،
فتناول المرأة للشراب
أليق بها من تناولها للطعام .

وإنك يا باكخوس لصديق لكيوپيد بن ڤينوس .
وخذي حِذْركِ
فلو احتفظت برشدك
قويت ساقاك ، وكانتا سنداً لك .
فحذار أن تزدوج الصورة في عينيك ،
وَتَريْن الرجل اثنين .
فالمرأة المخمورة تمجّها الأبصار ،
وتغدو مباحة لمن يشاء .
وليس من الأمان
أن يَدْهَمَكِ النُعاس بعد رفع الأطباق عن المائدة ،
فقد تنالك خلال النوم ،
أمورٌ تجرّ عليك العار .

* * * *

بوشيه : أورورا ربة الفجر وكيفالوس
بإذن من متحف نانسي



وما تبقّى عندي من حديث يحمّر له وجهي خجلاً ،
لكن ڤينوس تقول دائما بدلال :
«كل ما يبعث الحُمرة في الخدود من جوهر اختصاصي»
فلتعرف كل امرأة نفسها معرفة حقة .
انتقي أسلوبك على وفق بنية جسدك ،
فليس ثمة أسلوب واحد يناسب الجميع على السواء :
. . . . ٧٧٤

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .
٧٨٠

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

٨٠٠

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

٨٠٨ . . . .

* * * *

والآن انتهت لُعبتنا
وآن أوان هبوطي عن مركبتي
التي تجرّها البجعات .
وكما فعل الفتيان من قبلُ ،
على الفتيات أن يفعلن الآن ما فعلوا ،
أن ينقشن على غنائمهن :
«كان ناسو . . . . معلّمنا » .

* * * *







تعقیبات







البَابُ الأول

(١) أوتوميدون هو سائق مركبة البطل أخيل ، وتيفيس ربان سفينة الأرجو التي استقلها چاسون مع خمسين من أبطال الإغريق بحثاً عن الفروة الذهبية .

(٢) زعم الشاعر هسيود في الـ « تيوجونيا » أنه شاهد ربات الفن في أسكرا ، وهي مدينة صغيرة في بويوتيا بالقرب من جبل هيليكون وكانت موطن الشاعر هسيود .

(٣) انفردت الحرائر الحيّيات بعصب شعورهن . وكان الغرض من التنورة « الترفيلة » أن يطول ثوب المرأة فيضفي عليها وقارا .

(٤) قد يكون المقصود هنا أهل أثيوبيا أو أهل النوبة إلاّ أن الشائع أن إنقاذ أندروميدا كان في سوريا . ويصف الكتاب الثالث من فن الهوى أندروميدا بأنها سمراء ، وفي هذا تلميح إلى ما عنى به پيرسيوس نفسه في حب أندروميدا السمراء وبين يديه غادات روما !.

(٥) جارجارا مدينة على جبل إيدا في آسيا الصغرى .

(٦) ميثيمنا مدينة في جزيرة ليسبوس .

(٧) نُسبت نشأة روما إلى أينياس الطروادي بن ڤينوس وبطل إنيادة ڤرچيل .

(٨) رواق پومپيوس بجوار الملعب المسمى باسم پومپيوس الذي اشترك في الحكم مع يوليوس قيصر وكراسوس وقهر مثر يداتس في معركة نيكوپوليس .

(٩) هو رواق أوكتاڤيا أخت الامبراطور أوغسطس ، وكانت قد أقامت ذلك الرواق تكريماً لذكرى ابنها ماركيللوس ، كما شيدت مكتبة تخليداً لذكراه ، وسمى الامبراطور ملعباً باسمه .

(١٠) ليڤيا هي زوجة الإمبراطور أوغسطس .

(١١) رواق داناوس بمعبد أپوللو فوق تل پالاتينوس ، وكان يضم تماثيل لبنات داناوس الخمسين وهن يتأهبن لقتل أبناء عمومتهن الذين أرغمن على الزواج منهم . وكانت بنات داناوس حفيدات بيلوس ملك مصر ولسن بناته كما ورد في نص أوڤيد .

(١٢) كانت عبادة أدونيس متصلة بمعبد ڤينوس ، وكان عيده أحبّ أعياد روما إلى قلوب العاهرات .

(١٣) يضم معنى السورى وقتذاك سكان الشرق الأوسط . وكان الكثير من اليهود يقطنون روما وخاصة بعد فتح أورشليم (القدس) على يدي پومپيوس عام ٦٣ ق.م. وقد قُتل پومپيوس في المياة الإقليمية المصرية بعد معركة ڤارساليا الشهيرة ، وكان هذا الرواق مزداناً بالنافورات والأشجار الظليلة .

(١٤) كثيرا ما كانت إيزيس المصرية تُقرن بإيو عشيقة چوپيتر ، وكان لها معبد في حقل مارس بروما . أما إيو فهي عشيقة چوپيتر التي مسختها زوجته چونو بقرة انتقاما منها .

(١٥) كان ثمة معبد في فورم چوليوس لڤينوس الأم « ڤينوس چنيتركس » ، وبجانبه نافورة « آكوا آپيا » التي سميت بهذا الإسم لأن المياه كانت تصلها عبر قناطر الماء المرتفعة التي شيدها السّنسور آپيوس كلاوديوس .

(١٦) السابين شعب لاتيني إيطالي اشتهر بأنه أول من حمل السلاح ضد أهل روما انتقاما ، بعد اختطاف الجند الرومان لنسائهم أثناء مشاهدتهم لألعاب مسرحية كن قد دعين لمشاهدتها . وبعد معارك طويلة خضعوا للرومان واندرجوا في سلك المواطنة الرومانية .

(١٧) كان هذا الموكب يبدأ من جبل الكاپيتولينوس ويبلغ الملعب بعد مروره بسوق المواشي ، ثم يصل سيره في حلبة الملعب . وكانت التماثيل العاجية تُحمل فوق الأعناق فتصفق الجماهير لتمثال أحبّ الآلهة إليها : الجنود لتمثال مارس إله الحرب ، والعشاق لتمثال ڤينوس إلهة الحب .

(١٨) الفورم هو ساحة السوق .

(١٩) قتل القائد كراسوس وابنه في معركة كاراي خلال قتاله مع الپارتيين [٥٣ ق.م] واستطاع الجيش الپارتي أن يستولي على البيارق الرومانية كلها .

(٢٠) جايوس قيصر هو بن أجريپا وچوليا ابنة الامبراطور أوغسطس ، وكانت العدة تعد لإيفاده في حملة ضد فراطيس ملك الپارت ، غير أنه لقي حتفه بعد أن جرح في إحدى المعارك ، ولم يستطع أن يحقق الآمال التي أشار إليها أوڤيد .

(٢١) أمير الشباب هو اللقب الذي كان يُخلع على من له الحق في قيادة موكب الفرسان السنوي بروما .

(٢٢) لم يكن له حقاً غير أخ واحد هو يوليوس قيصر .

(٢٣) أنجبت داناي عشيقة چوپيتر پيرسيوس الذي تزوج أندروميدا فولدت له پرسيس .

(٢٤) يداعب كيوپيد باكخوس ، وعندما يبلل جناحيه بالنبيذ يثقله فيمنعه من التحليق .

(٢٥) باياي مصيف بحري مختار لأهل روما قديما ، وقد اندثر الآن بفعل الزلازل .

(٢٦) هو معبد يانا النيمورنسية إلى جوار بحيرة نيميه القريبة من روما . وكان كاهن المعبد عبدا هاربا يقتل سلفه كي يتقلد وظيفة المُلك والكهانة في آن واحد . وكانت هذه الغابة من أحب الأماكن للعشاق .

(٢٧) يمثل أوڤيد ثاليا إحدى ربات الفن [ربة الملهاة] تعتلي مركبة ذات عجلتين تلميحا إلى بيتي القصيدة الإيليجية ، وكان أحدهما أطول من الآخر.

(٢٨) هوكاونوس الذي وردت قصته في الكتاب التاسع من مسخ الكائنات الـ « ميتامورفوزيس » .

(٢٩) في كريت .

(٣٠) أغوى ثيتيس بن پيلوپس زوجة أخيه أتريوس المدعوة إيروبي فزنى بها ، الأمر الذي جعل إله الشمس يخفي وجهه عن موكناي .

(٣١) هي سكيللا التي كثيرا ما يُخلط بينها وبين الوحش الذي يحمل الإسم نفسه . وقد اختلط الأمر كذلك على ڤرچيل نفسه في « الرعويات » .

(٣٢) كيريوسا هي إحدى بنات كريون ملك كورنثه ، وكانت على وشك التزوج من جاسون بعد هجره لميديا ، إلا أنها تلقت من ميديا رداء مسموما أحرقها يوم زفافها . ولها اسم آخر هو جلاوكي .

(٣٣) فينيكس هو بن أمينتور وهيپوداميا . وكان أمينتور قد هجر زوجته من أجل عشيقته ، فحثت هيپود اميا ابنها فينيكس على أن يغوي عشيقة أبيه . وإذ نجح في مسعاه رماه أبوه بالعقم ، ففر فينيكس إلى ثيساليا حيث استقبله بيليوس ونصبه معلما لابنه أخيل ، وصاحب أخيل إلى طروادة وكان مستشارا له خلال الحرب ، ويقول البعض إن أباه رماه بفقدان البصر فحرم النور . وهذه هي الرواية التي أخذ بها أوڤيد .

(٣٤) هيپوليتوس هو ابن ثيسيوس الذي راودته فايدرا زوجة أبيه عن نفسها وازدراها ، فاتهمته زورا بأنه حاول أن ينال منها ، فطلب أبوه من الإله نيتون أن يهلكه ، فعرض له وحش من البحر وهو يقود مركبته على الشاطىء فسقط من على المركبة مربوطا في عنانه وظلت الخيل تجره حتى مات .

(٣٥) تزوج فينيوس بن أجينور ملك طراقيا من كليوباطره بنت بورياس وأولدها ولدين ، وبعد موتها تزوج من إيدايا بنت داردانوس التي اتهمت ابني كليوباطرة بالتآمر ضدها فغضب فينيوس وقضى بسمل عيونهما . وثار جوبيتر غاضبا وخيّر فينيوس بين الموت والعمى عقابا له . واختار فينيوس ألا يبصر في الشمس فغضب منه إله الشمس ، وعذّبه بأن أرسل له طيور الهارپيس لتلويث طعامه كلما انكب عليه .

(٣٦) أي من الأسف أنك لا تستطيعين مقابلة خيانة زوجك بالخيانة .

(٣٧) أي لا مغازلة في تلك الأيام التي يألف الناس فيها إعطاء الهدايا ، إذ قد يُنتظر منك كرما يفوق ما تقدر عليه . ومن هذه الأيام أعياد الميلاد وعيد أول أبريل وهو عيد مهرجان الربة ڤينوس [وكان عيداً لأهل العربدة والعاهرات] وكانت الغنائم والهدايا التي يتبادلها أهل روما في عيد الإله ساتورن تُعرض علنا في الملعب الأكبر « سيرك ماكسيموس » ، كما كانت تعرض السلع الثمينة بجوارها لكي يشتريها الجمهور . وجرت العادة بأن تعد الأيام مشئومة إذا ما كانت الثريا منخفضة وكوكبة الجديين شديدة القرب من الأفق ، وكذلك اليوم الذي يفيض فيه نهر الآليا [يوم ١٨ يوليه] ، ففي مثل هذا اليوم من عام ٣٩٠ ق.م. هزمت قبائل الغال الجيوش الرومانية ، ومن ثم أصبح يعدْ يوم شؤم . والمقصود بيهود الشام اليهود الذين يحرّمون كل شيء يوم السبت عدا الصلاة .

(٣٨) هذا اقتباس عن إنيادة ڤرجيل [الكتاب السادس : ١٢٩] .

(٣٩) قديما خطّ أكونتيوس رسالة على تفاحة بعث بها إلى سيديبي نصّها « أقسم بديانا لأتزوجنّ أكونتيوس » ، ولما تلتها سيديبي وكان ذلك على ملأ ، أصبحت ملتزمة بالقسم .

(٤٠) يُضرب المثل ببنيلوبي في الوفاء للزوج الغائب ، إذ صمدت عشرين سنة لإغراء الرجال في مدينتها أثناء غياب زوجها أوديسيوس في حرب طروادة ومغامراته البحرية .

(٤١) جرت العادة بأن يُخصى كهنة كوبيلي قبل الالتحاق بخدمتها ، وكانوا يقلدون المجانين في صيحاتهم أثناء تأدية طقوسها بدق الدفوف والصراخ بلا حياء .

(٤٢) أريادني هي من أعطت الخيط لثيسيوس بعد أن وقعت أسيرة غرامه لكي ينشره خلال تجواله في المتاهة،ويعرف به طريقه أثناء العودة .

(٤٣) أحبت فايدرا هيپوليتوس ابن زوجها ثيسيوس حبا آثماً وراودته عن نفسها ، وإذ أبى ادّعت لزوجها أنه قد راودها فحّق عليه العقاب .

(٤٤) أحبت ڤينوس أدونيس بن سينيراس ملك قبرص ، ولكنه قضى نحبه في شبابه بعد أن فتك به خنزير بري رغم تحذيرات ڤينوس .

(٤٥) صفة لباكخوس مشتقة من صيحات عابداته .

(٤٦) كان ترتيب الأنخاب يجري بالاقتراع ، وقد يعني النص « مُعْلن الأنخاب » .

(٤٧) اللاپيث شعب همجي كان يعيش في جبال ثيساليا ، اشتهروا خلال صراعهم مع القنطور الذين استضافهم اللاپيث في حفل زفاف پيريثيوس أحد أمرائهم من هيپوداميا ، وقد ثُمل القنطور فأهانوا العروس . ومات عدد كبير من القنطور أثناء الصراع ، ومن بينهم يوريثيوس وكان أول من أهان العروس .

(٤٨) أيولوس بن چوپيتر وحاكم الرياح وإلهها .

(٤٩) كثيراً ما استند النقاد على هذه الأبيات للقول بأن أوڤيد كان لا أدريا في معتقداته . ولكن تمعّن النص يبين أنه يقر عبادة الآلهة بل يحبذها على ألا يظن الناس [كما كان الفلاسفة الأبيقوريون يظنون] أن الآلهة في سمواتهم لا يهتمون بما يحدث في الدنيا . فيعتقد أوڤيد أن الآلهة يتدخلون في أمور البشر من وقت لآخر ومن حيث لا يشعرون ، لذلك تحسن عبادتهم عبادة خاشعة على أمل أنهم سيثيبون الأبرار ومن لا يضرّ الآخرين . وواضح أن أوڤيد كان يخشى ألا يستطيع الإنسان أن يعيش حياة صالحة إذا لم يستشعر قوة عليا تراقبه وتحاسبه . أما عن الديانة التي كان يعنيها فلم تكن تلك الديانة البدائية الغليظة التي ترتبط بالعبادات اللاتينية المحلية الشعائرية ، ولكن ما يعنيه كان الديانة الإغريقية العامرة بالأساطير اللماحة الرامزة لحياة النفس وحالات الطبيعة . وليس من مكان للديانة المحلية سوى ربة الحظ « فورتونا » التي لا ترقى إلى مستوى الآلهة وإن كانت تعد منفّذة لإرادتهم في أمور الدنيا . وكان هذا الميل نحو الديانة الإغريقية القديمة متجلياً أيضاً في اتجاه الامبراطور أوغسطس ، لما في الديانة القديمة من تمجيد لفكرة النظام والاستقرار رغم تقلبات الطبيعة والدهر . فكانت الديانة الرسمية في الامبراطورية الرومانية تعد الامبراطور بمثابة ممثل شخصي لرب الأرباب چوپيتر على الأرض ، بل كان يلقب « الإله الحاضر بيننا » فأصبحت بذلك

الديانة الرسمية وسيلة لربط الأمة بولاء ديني موحد ومشترك لا يهتم بتعاليم دون أخرى ، وإنما يفتح المجال للديانة الموحدة الإغريقية القديمة التي لا ترتبط بآلهة قبائلية محلية متفرقة ،كما كانت الحال في إيطاليا قبل تأسيس الامبراطورية الرومانية ، فأصبح الآلهة حلفاء الدولة والدولة حليفة الآلهة .

أما أوفيد،فكان يحاول مسايرة العقيدة الرسمية السائدة لأسباب بديهية ، وإن كان لا يهتم كثيراً بأمور السياسة والمُلك على حدقول الأستاذ هرمان فرنكل في كتابه « أوفيد ... شاعر بين عالمين » : لم يؤمن أوفيد إلا باثنين : الفن والإنسان . واهتمامه بالأساطير هو من مظاهر إيمانه بالفن والآداب وليس دليلاً على معتقدات دينية معينة .

(٥٠) فالاريس طاغية أجريجنتوم،كان قد طلب إلى پيريلوس الفنان الأثيني أن يصنع له ثوراً نحاسياً يحشر في باطنه المجرمين ويحرقهم أحياء فتصدر صيحاتهم تحاكي خوار الثور .

(٥١) كان أوريون قناصا شهيرا يصيد الحيوانات المفترسة في غابات ديركي بجوار طيبة ، حيث عذبت ديركي بأن شدّت إلى ذيل ثور متوحش جرها على الصخور عقاباً لها على أسرها لأنتيوپي مطلّقة زوجها ليكوس ملك طيبة ، وحوّلها الآلهة بعد ذلك إلى نافورة رحمة بها .

(٥٢) دافنيس هو ابن هرميس [مركوريوس] وإحدى الحوريات ، اشتهر بأنه مبدع الشعر الرعوي . ولد في أجمة من شجر الغار حيث تركته أمه ليموت ، إلا أن حوريات الغابة رعينه وربّينه كما علمه الإله پان عزف الناي فبرع وامتاز . وكان جميلا وسيما أحبته بعض نساء البشر وبعض الحوريات ، بيد أنه خان إحدى النايادیس التي كانت تعشقه فانتقمت منه وأعمته . فرفعه هرميس إلى السموات وفجّر ينبوعاً من مكان صعوده أخذ الرعاة يختلفون إليه كل عام لتقديم القربان إلى روحه .

(٥٣) پاتروكلوس كان صديق أخيل الحميم اشترك معه في معارك الحرب الطروادية حتى قتله هكتور ، فحزن أخيل على موت صديقه حزناً شديداً . وهذا يعني أن تلك الصداقة الكبرى بين الاثنين كانت تحرّم على پاتروكلوس أن يخون صديقه بأن يغازل شريكة فراشه وهي أسيرته بريزييس .

(٥٤) كان پيريثووس ملك اللاپيث صديقاً حميماً لثيسيوس فرعى حرمة زواج هذا الأخير من فايدرا .

(٥٥) كانت هرميونيه زوجة لأريستيس ، أما پيلاديس فكان أعز أصدقائه .

الباب الثاني

(١) هوميروس وهزيودوس .

(٢) جاء پيلوپس من فريچيا إلى إيليس وطن هيپوداميا وفاز بها زوجة في سباق للمركبات .

(٣) إيراتو كلمة مشتقة من إيروس « الحب » ومعناها الحبيب ، وهو اسم ربة الشعر الغنائي والغزلي .

(٤) عندما هرب دايدالوس من أثينا التجأ إلى كريت حيث شيّد المتاهة سجناً للمينوطور . وعندما أعرب عن رغبته في العودة إلى أثينا رفض الملك مينوس الإذن له بذلك .

(٥) نسبة إلى كلاروس ، وهي مدينة أيونية كان لأپوللو فيها هاتف إلهي .

(٦) هايمونيا اسم بديل لثيساليا التي اشتهرت وقتذاك بالسحر .

(٧) يشير أوڤيد هنا إلى ما كان يسمى « بالهيپومانيس » ، وهو كالورم على جبين المُهر تنتزعه الفرس بأنيابها فور ميلاد مُهرها . وقد اشتهر هذا الورم بمقدرته السحرية إكسيرا للحب . ويقول ڤرچيل في كتابه الثالث عن فن الفلاحة أن مصدر هذا الإكسير عصارة يفرزها مهبل الفرس . ويقول البعض الآخر إن مصدر هذا الإكسير عصارة نبات لا يوجد في غير أركاديا .

(٨) جبال في إيطاليا الوسطى اشتهرت بالسحر .

(٩) كان نيريوس ملكا لناكسوس وابناً لخاروپس وأجلايا ، ذاع صيت جماله في كل مكان . وكان أحد قادة الجيوش الإغريقية في حرب طروادة ، ووصفه هوميروس في بدء الإلياذة بإعجاب شديد .

(١٠) هيلاس بن ثيوداماس ملك ميسيا ، اختطفه هرقل وأبحر به في سفينة الأرجو صوب كولخيس . وإذ رست السفينة على شواطىء آسيا نزل بحارة الأرجو إلى البر ليملأوا خزاناتهم بالماء العذب ، فذهب معهم هيلاس حاملا قدرا ، ولما بلغ الينبوع سقط في بركة أمامه فغرق . ويقول الشعراء ــ ومنهم ڤرچيل بصفة خاصة في رعويته السادسة ــ إن حوريات الماء وقعن في غرامه فاختطفنه إلى أعماق البركة . ولما علم هرقل بذلك انفجر حزنا لفقدان أعز غلام عنده وملأ الغابات والجبال بصرخات أساه ، ويقال إنه ترك سفينة الأرجو وذهب ليبحث عنه .

(١١) أنظر المقدمة .

(١٢) المقصود هنا الملك ريزوس،فالأودريسيون لقب من ألقاب شعب طراقيا .

(١٣) جدول صغير في طرواده يصب في نهر اسكمندر باسيا الصغرى .
(١٤) طائر طويل الجناحين مشقوق الذيل .
(١٥) هي إيبروس ، والمقصود هنا اليمامات الموجودة في غابة البلوط المجاورة لمعبد چوپيتر بدودونا حيث يتكهن الهاتف الآلهي بالمستقبل من خلال تلك اليمامات .

(١٦) أتالانتا فتاة من بويوتيا اشتهرت بجمالها وبسرعة عدوها ، أعلنت أنه لن يظفر بها زوجة إلاّ من يتخطاها في السباق ، أما من تتخطاه هي فمصيره القتل حتى صادفت هيپومينيس أو ميلانيون على حد قول بعض الشعراء فسبقها بالحيلة وفاز بها زوجة له .

(١٧) السهم الأول من قوس القنطور هيلايوس الذي حاول أن يستأثر بأتالانتا ، أما السهم الثاني فمصدره قوس كيوپيد .
(١٨) جبل مقدس للإله پان في أركاديا يختلف إليه الرعاة . وكان هذا الجبل مكسواً بغابات شاسعة من جبل الصنوبر تغنّى بها أكثر الشعراء الرومان في قصائدهم .
(١٩) يروى أن هرقل قد وقع في غرام الملكة أومفالوس التي كانت قد اشترته عبداً لها وأنها بادلته الحب . وحرصاً منه على أن يبقى إلى جوارها أبداً تزيي بثياب الوصيفات وانتظم في صفوفهن يغزل معهن الصوف . والمقصود من هذه الرواية الكناية عن مدى استعباد الحب لبطل مشهود له بالقوة مثل هرقل .

(٢٠) تزوج أدميتوس ملك فيراي بثيساليا من ثيوني ، وبعد عرسها بقليل تزوج من ألسستيس ابنة پلياس . ويروى أن أپوللو بعد طرده من السماء نزل ضيفاً على أدميتوس وأحبه حباً شديدا فرعى قطعانه تسع سنوات وتضرع إلى ربات القدر أن يضفين الخلد على أدميتوس بشرط أن يقدم غيره حياته بدلاً منه ، فقدمت زوجته ألسستيس حياتها تضحية من أجله .

(٢١) وقعت هيرو إحدى كاهنات معبد ڤينوس الجميلات في شراك حب لياندر أحد فتيان أبيدوس في آسيا الصغرى . ومن شدة هيامه بها كان يهرب ليلاً من دار أسرته ويعبر الهليسپونت للقاء هيرو التي كانت تقف في سيستوس على الجانب الأوروبي من المضيق رافعة شعلة من فوق برج عال . وظلت هذه اللقاءات الليلية حتى غرق لياندر في ليلة عاصفة ، فيئست هيرو وألقت بنفسها من فوق البرج وماتت غرقاً في البحر مثل حبيبها .

(٢٢) تقدم نساء روما القرابين والأضحيات يوم ٧ يونيو للإلهة چونو كاپروتينا [أي چونو الواقفة تحت شجر التين البري] ويسميه الرومان « چوناي كاپروتيناي » . ويقام هذا العيد تكريما لذكرى ذلك اليوم الذي أسلم فيه الرومان إلى العدو الغالي إماء مرتديات ثياب زفاف سيداتهن بدلاً من السيدات والعذارى اللاتي طالب بهن الغاليون الرومان فدية لمدينتهم روما ، حتى إذا بلغن معسكر الغال تسلقت إحداهن شجرة تين برية ولوّحت بإشارات متفق عليها إلى جيش الرومان الذي عرف بذلك مكان العدو فهاجمه وقضى عليه .

(٢٣) اقتبس أوڤيد هذا البيت عن « الرعوية الثانية » لڤرچيل (البيت ٥٢) . وأما ريلليس اسم أطلقه ڤرچيل على راعية

من الرعاة في قصائده « الرعويات » . ويزعم بعض الشراح أنها اسم مجازي لمدينة روما نفسها .

(٢٤) ميدوسا هي إحدى الجورجونات الثلاث ، وكانت وحدها من بينهن تجري عليها أحكام الفناء بخلاف أختيها الرهيبتين . وكانت شعورهن أفاعي ونظراتهن تمسخ من يتطلع إليهن حجرا . واشتهر پرسيوس بأنه قطع رأس ميدوسا وثبّته على ترس أهدته إياه الإلهة منيرڤا (پالاس) ، فكان كل من يتطلع إلى ترسه يتحول إلى حجر .

(٢٥) كان التبخير بالكبريت والطواف بالبيض في حجرة المريض من طقوس عبادة الإلهة إيزيس في روما كي ينال عطف الإلهة . ويقال إن مثل هذه الطقوس كانت تجري في حالات الهوى الفردي .

(٢٦) هامت فيليس ليكورجوس ابنة ملك طراقيا بديموفوون بن ثيسيوس حبا حين نزل إلى شواطىء طراقيا أثناء عودته من حرب طروادة . وأبحر ديموفوون إلى أثينا بعد أن وعدها بالعودة بعد شهر ، غير أنه لم يف بوعده فألقت فيليس بنفسها من أعلى الجبل إلى البحر وغرقت .

(٢٧) كان پروتيسيلاوس حفيد فيلاكوس ملكا لمنطقة في ثيساليا ، وكان أخا لألكيميديه أم چاسون ، تزوج من لاوداميا ابنة أكاستوس ثم انضم إلى جيوش الإغريق وأبحر معهم في حرب طروادة . وكان أول من وضع قدمه على الشاطيء الطروادي من بين الإغريق ، وكان الهاتف الإلهي قد تنبأ بأن أول من يهبط على أرض طرواده سيلقي حتفه . وقد قتله هكتور أو أينياس . ولما سمعت لاوداميا بالخبر المشئوم انتحرت .

(٢٨) إشارة إلى نشوة الانجذاب التي تسيطر على كاهنات باكخوس ، ذلك الإله الذي كثيرا ما كان يصور برأس متوج بقرنين . أما آوونيا فاسم مرادف لبويوتيا وإن كان يطلق قديما على جزء منها فحسب ، وهو ذلك الجزء الذي يقع فيه جبل هيليكون موطن ربات الفنون .

(٢٩) يشير أوڤيد إلى ميديا حين تزوج زوجها چاسون من غيرها ، بينما يقصد بالخطاف پروكنى ابنة پانديون وزوجة تيريوس التي مُسخت خطافا بعد أن قتلت ابنها انتقاما من أبيه حين زنى بشقيقتها فيلوميلا .

(٣٠) كان أجاممنون قد رفض تسليم خريسيس ابنة الكاهن خريسيس الطروادي لأبيها إلى أن ابتلى الجيش الإغريقي بالطاعون فاضطر إلى ردّها . وبعد ذلك اختطف أجاممنون بريزييس التي كان أخيل قد فاز بها من قبل بين سباياه فغضب أخيل وانسحب من المعركة . وفي النهاية أخذ أجاممنون كاساندرا ابنة پريام بين سباياه من طروادة . ولما علمت زوجته كليتمنسترا ذلك كله دبّرت اغتياله بمعونة عشيقها .

(٣١) جبل إريكس بصقلية الذي يضم معبداً لڤينوس .

(٣٢) كان ماخاوون وبداليريوس ابني اسكلپيوس إله الطب ، وكانا طبيبي الجيش اليوناني أثناء حصاره لطرواده .

(٣٣) كانت الكلمتان « اعرف نفسك » [جنوثي سياوتون] منقوشتين على أعلى باب معبد أپوللو في دلفي .

(٣٤) يشير أوڤيد إلى الهاتف الإلهي في دودونا الذي يتحدث من خلال حفيف أشجار البلوط بالقرب من معبد زيوس البيلازجي .

(٣٥) النار والماء رمزان للحياة الزوجية عند الرومان ولهما أيضاً معنى التطهير . وكان العريس يقدمهما لعروسه حين تطأ قدمها بيت الزوجية ، فالنار والماء كناية عن الزواج الشرعي .

(٣٦) يشير أوفيد إلى الطقوس السرية في إليوسيس،وهي مدينة قديمة في أتيكا اشتهرت بعبادة ديميتير [سيريس عند الرومان] وبطقوس التخصيب . وكانت أدوات العبادة في عقيدة سيريس تُخفى في صناديق حتى لا تقع عليها غير عيون القائمين على شعائرها . وصامو طراقيا جزيرة في بحر إيجه لقّبت بالمقدسة لشهرة أهلها بشدة التمسك بعقيدتهم ولميلاد كل الطقوس الدينية في العالم الهيليني على أرض هذه الجزيرة التي أصبحت ملجأ آمنا لأي عبد آبق أو مجرم هارب .

(٣٧) العرض من صك الصنوج تحذير لغير أتباع العقيدة الملقّنين أسرارها حتى لا يقتربوا من مكان ممارسة الطقوس .

(٣٨) هذه هي الوضعة التقليدية لڤينوس في الفن التي يتخذها تمثال أفروديتي لبراكستيليس ، مع استخدامها اليد اليمنى بدلا من اليسرى في ستر عورتها .

(٣٩) كان ثمة مستشاران جمهوريان يسميان « السنسوريس » في الدولة الرومانية ، أنشئت وظيفتهما عام ٤٤٣ ق.م. للقيام بإحصاء الشعب وتقدير أملاك كل مواطن وتحديد الضرائب والهيمنة على النظام العام والآداب .

(٤٠) هيرميونيه ابنة منيلاوس من هيلينا وقد تزوجت من أورستيس

(٤١) جورجيه هي ابنة ألثايا الفاتنة من أوينيوس ملك ايتوليا

الباب الثالث

(١) الأمازونات أمة شهيرة من النساء كانت تقطن بجوار الثرمودون في كابادوسيا ، وكانت حياتهن وقفا على الحروب ومآثر البطولة . ولم يكن يضاجعن الرجال إلّا بين الفينة والفينة للإنجاب فقط ، فإذا نسلن ذكورا أهدينهم إلى آبائهم على حين يحتفظن بالإناث . وتقول رواية بأنهن كن يمزقن الذكور إربا إربا عند ولادتهم على حين كن يربيّن الإناث تربية عسكرية قاسية ، حتى إذا بلغن سن الرشد استؤصل ثديهن الأيمن بالكيّ حتى يستطعن قذف الرمح بلا عائق وتسديد السهام كذلك . وكلمة أمازون مشتقة من كلمتين يونانيتين « آه » وتعني النفي ، و« مازا » وتعني الغلال ، لأن الأمازونات اشتهرن بأكل اللحوم فقط . وكانت لهن دولة كبيرة في آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأسود ، وقد هاجمهن الإغريق مرارا حتى هزموهن في بلادهن الأمر الذي أدى إلى نفيهن وانتشارهن في كافة أنحاء عالم البحر المتوسط . أما بنثيسيليا فكانت أشهر ملكاتهن وتنسب سلالتها إلى الإله مارس . وقد حاربت في صفوف الجيش الطروادي وقتلها أخيل ، ويقال انه لما رآها قتيلة أمامه بكى حزنا على جمالها . وهناك رواية بأن أخيل قد سمل عيني بنثيسيليا قبل أن يقتلها وأن أحد أبطال الإغريق وهو ثيرسيتيس قد شهد ذلك فاضطر أخيل إلى قتله . وهناك رواية أخرى بأنه قد ضاجع بنثيسيليا وهي ميتة وأن ثيرسيتيس قد شهد ذلك أيضاً . وإذ كان ثيرسيتيس صديقا لديوميديس فقد غضب الأخير لمقتل صديقه فأمر بأن تجر الجياد جثة بنثيسيليا سبب المصيبة وأن يلقي بها في نهر اسكمندر .

(٢) كانت إيريفيليه زوجة أمفياروس الذي أخفى نفسه حتى لا يرافق جنود مدينة أرجوس في حملتهم ضد طيبة ، إذ كان قد علم من كاهن أنه سيلقي مصرعه حتما لو رافق الحملة . غير أن بولينيكس بن أوديب استهوى إيريفيليه بقلادة ذهبية حتى كشفت له عن مخبأ زوجها ، فاضطر أمفياروس إلى الاشتراك في المعركة التي لقي فيها مصرعه ، ولكنه كان قد أوصى ابنه قبل رحيله بقتل أمه لو بلغه نبأ موته ، وبالفعل قتل الابن أمه .

(٣) حينما لقي بروتيسيلاوس زوج لاوداميا حتفه في مستهل حرب طروادة بسيف هيكتور صنعت لاوداميا تمثالا خشبيا لزوجها كانت تضعه على الفراش بجوارها حتى اكتشف حموها فعلها فأمر بإحراق التمثال فألقت بنفسها في النار مع التمثال من فرط حزنها ويأسها .

(٤) كانت إيفادني بنت إيفيس الأرجوسي قد تمنعت على أبوللو مفضلة عليه كاپانيوس أحد الأبطال السبعة المعادين

لطيبه . فأرسل چوپيتر صاعقة قتلته لتوه لكفره برب الآلهة . وعندها ألقت إيفادني بنفسها في النار التي أشعلتها الصاعقة فيه .

(٥) مثّلت الفضيلة دائما في شكل امرأة ترتدي ثوبا أبيض وقوراً .

(٦) أحبت فيليس بنت ملك طراقيا ديموفوون بن ثيسيوس الذي وفد ضيفاً على أبيها خلال عودته من حرب طروادة ، ثم أبحر ديموفوون إلى وطنه في أثينا بعد أن وعدها بالعودة إليها لكنه أنسيها ولم يعد . وقيل أن فيليس قد عدت تسع مرات صوب البحر لعلها تشهد عودة مركبه دون جدوى . وبعد أن يئست ألقت بنفسها من فوق صخرة إلى البحر ، وسمي الطريق الذي سلكته « بطريق السُبل التسع » .

(٧) أكاد أذهب إلى أن أوفيد لم يقصد فئة البغيات اللاتي كن يتمتعن في روما بامتيازات معينة كما يدعي بعض الشراح ، بل يقصد استغلال المرأة لمفاتنها ، والسياق كله يؤيد ما أذهب إليه .

(٨) هامت ديانا حبا بأندميون الراعي حين شاهدته ينام عاريا على سفح جبل لاتموص وكانت تهبط إليه كل ليلة ليضاجعها . وقيل إن أندميون كان راعيا مولعا بالفلك يصعد كل ليلة إلى قمة جبل لاتموص كي يرقب حركة النجوم في السماء .

(٩) كان كيفالوس روحا لپروكريس وقد أولعت به « أورورا » ربة الفجر فاختطفته ، ولكنه لم يستجب لإغرائها وألح في العودة إلى زوجته فأعادته الإلهة إلى پروكريس في صورة تاجر ثري حاول غواية زوجته ، فنجح بعد لأي ثم كشف لها عن حقيقة نفسه غاضبا ، ففرت پروكريس خجلا إلى جزيرة يوبويا حيث انضمت إلى وصيفات الإلهة ديانا إلى أن عاد إليها كيفالوس يسترضيها فآبت معه .

(١٠) أنجبت ڤينوس أيبياس من أنخيسيس ، كما أنجبت هارمونيا أو هرمونيه من الإله مارس .

(١١) كان تيتوس تاتيوس أحد ملوك شعب السابين ، شارك رومولوس في مُلك روما وقت نشأتها ثم قتل سنة ٧٤٢ ق.م.

(١٢) يشير أوفيد إلى معبد أپوللو وقصر أوغسطس وكلاهما يعلوان تل الپالاتينوس .

(١٣) نسبة إلى جبل كيلليني في أركاديا حيث عثر الإله ميركوريوس على سلحفاة وصنع قيثارته من ذبلها (درقها) .

(١٤) تعهد الملك يوريتوس ملك أويخاليا بأن يزوج ابنته إيولي من هرقل ثم نقض عهده وأوفد ابنته بعيدا ، فأجج هذا البعاد من هيام هرقل بها . وما أن أحاطت زوجته ديانيرا علما بهذا الغرام حتى أرسلت إليه الرداء الحارق المسموم الذي ما كاد يرتديه حتى أصابه الهلاك .

(١٥) يقصد أوفيد معبد هرقل وربات الفنون في ساحة الملعب وقد شيده فولڤيوس نوبلْيور عام ١٨٩ ق.م.

(١٦) تزوجت إينو مرضعة باكخوس بنت الملك كادموس وهارمونيا ، أثاماس ملك طيبة بعد أن طلق زوجته الأولى نيفيلي وكان قد أنجب منها فريكسوس وهيلي . وما لبثت إينو أن أنجبت بنتا وولدا مضطهدة فريكسوس وهيلي ، فولّيا الفرار طائرين إلى شاطىء كولخيس ممتطيين كبشا ذا فروة ذهبية

(١٧) أماريلليس راعية بالقصائد الرعوية لفرچيل .

(١٨) العبارة ذاتها غامضة في النص .

(١٩) نهر في ميسيا بآسيا الصغرى .

(٢٠) نهر في سيليسيا بآسيا الصغرى .

(٢١) « في معالجة الوجه النسائي » . Medicamina Faciei Femineae

(٢٢) هو مسحوق اسمه أويسيبوم يقال انه كان يصنع من عرق الدواب مخلوطا بما يعلق بفراء الماشية من قذر . وقد تخصص إقليم أتيكا في صناعة هذا النوع من مساحيق الزينة ، وكان من أربح السلع فيها بعد العسل .

(٢٣) ميرون مثال يوناني مشهور عاش في منتصف القرن الخامس ق.م نسب إليه التمثال الشهير لرامي القرص . وقيل إنه قد شكل بقرة فتن بها الثيران توهماً منها بأنها بقرة حية .

(٢٤) « الإلهة الطيبة » اسم ولقب للإلهة الرومانية التي ترعى عفة النساء وخصوبتهن في آن معاً ، وقد حرم على الرجال اقتحام معبدها .

(٢٥) اشتهر الپارت بالفسق والمجون ، وكانت شريعتهم تتيح لرجالهم مضاجعة أخواتهم وأمهاتهم ، ومن ثم صاروا مثلاً في غشيان المحارم .

(٢٦) سيميليه هي ابنة كادموس وهارمونيا (ابنة ميركوريوس وڤينوس) وحين أحبها چوپيتر أقنعتها چونو بدهائها بأن تطلب من عاشقها أن يبدو أمامها بكل مظاهر قوته وجبروته ، وإذ كان قد وعدها بأن يجيب أي طلب تريده اضطر إلى الظهور أمامها على حقيقته فأحرقتها صاعقته ، بيد أن ميركوريوس استطاع أن ينقذ الجنين من أحشاء حفيدته وكان هذا الجنين هو باكخوس (ديونيسوس) .

(٢٧) ليدا هي زوجة تنداروس ملك اسپرطه وقد أحبها چوپيتر وتحايل لمواطأتها بأن تحول إلى بجعة ، فأنجبت ليدا بعد تسعة شهور بيضتين حوت إحداهما هيلينا وپوللوكس وثانيتهما كليتمنسترا وكاسترو .

(٢٨) هام چوپيتر بأوروپا ابنة أجينور ملك فينيقيا فأحال نفسه ثورا ليقترب منها وهي تربض فوق مروج الشاطيء ، وما كادت تربت عليه ملاطفة حتى استدرجها إلى امتطائه ، وسرعان ما حلق بها عابراً البحر حتى أدرك شواطيء كريت . وهناك عاد إلى شكله الحقيقي وضاجعها فأنجبت له مينوس وساريپدون ورادا مانثوس .

(٢٩) يقصد أوڤيد منارة الاسكندرية ، غير أن معنى البيت غامض . وقد فسره البعض على أن المقصود هو التمساح الذي كانت تصنع من حراشيفه المجففة المسحوقة بعض مساحيق التجميل .

(٣٠) هناك أسطورة متأخرة تعتبر أوديسيوس ابنا لسيريفوس الذي اشتهر بالمكر والخداع ، ومن ثم ينسب مكر أوديسيوس إلى أبيه . والإشارة هنا إلى الأوديسا لهوميروس (الكتاب الثاني عشر ١٦٦) .

(٣١) اشتهر أمفيون ملك طيبة وزوج نيوبي بأنه شيد أسوار طيبة بسحر الألحان التي عزفها بقيثارته .

(٣٢) كان أريون عازفاً مشهوراً على القيثارة وشاعراً غنائياً وقد صاحب برياندر ملك كورنثه إلى شواطيء إيطاليا حيث

جمع ثروة من عزفه وشعره . وخلال عودته إلى بلاده حاول بحارة السفينة التي كان يستقلها اغتياله للاستيلاء على ثروته فأمهلهم حتى يسمعهم نشيداً افتتن به الدرافيل في الماء ، فألقى بنفسه في البحر ممتطيا احدها حيث عاد به إلى قصر برياندر الذي قضى على البحارة جميعاً بالصلب جزاء لهم .

(٣٣) بروبيرتيوس شاعر غنائي من العصر الأوغسطي اشتهر بالشعر المشحون بالعواطف توفي عام ١٥ ق . م .

(٣٤) جاللوس شاعر وخطيب من العصر الأوغسطي وكان صديقاً لڤرچيل ولد عام ٦٩ ق.م. وتوفي عام ٢٦ ق.م.

(٣٥) تيبوللوس شاعر من العصر الأوغسطي اشتهر بالشعر الغرامي الايليجي وكان صديقا لهوارس وأوڤيد .

(٣٦) ڤارو شاعر روماني ترجم قصائد ملاحي الأرجو لأپولونيوس روديوس إلى اللاتينية ، وكذا بعض المرثيات والإپيجرامات .

(٣٧) إشارة إلى إنيادة ڤرچيل .

(٣٨) نهر ليتي بالعالم السفلي إذا اقتربت منه أرواح الموتى أنسيت حياتها في الدنيا .

(٣٩) للأسف أن قواعد لعب النرد عند الرومان والإغريق ما زالت مجهولة .

(٤٠) مياه العذراء اسم جدول كانت تصل مياهه إلى روما فوق قناطر مشيدة .

(٤١) تدخل الشمس برج العذراء (أو السنبلة) في شهر أغسطس .

(٤٢) كلمة پالاتيا تعني القصر ، وكانت تطلق على قصر الامبراطور المقام فوق تل پالاتينوس ، وقد سمي بها القصر نسبة إلى تل پالاتينوس . ثم أصبحت تطلق على كل مبنى هام فوق تل پالاتينوس ، وقد سمي بها كذلك معبد أپوللو الذي شيده الامبراطور أوغسطس فوق تل پالاتينوس .

(٤٣) تزوج أجريپا چوليا ابنة الامبراطور أوغسطس وشيد « بوابة ملاحي الأرجو » عام ٢٥ ق.م. تمجيداً لانتصار روما في معركة أكتيوم ضد المصريين .

(٤٤) أي معبد إيزيس التي لقيت عبادتها إقبالاً شديداً في روما وقتذاك واختلط الأمر بينها وبين إيو التي مسختها الإلهة چونو بقرة .

(٤٥) المقصود هنا ملعب پومپيوس الذي افتتح عام ٥٥ ق.م وملعب ماركيلّوس الذي شيده الامبراطور أوغسطس تكريما لذكرى ابن اخته ماركيلوس ، وملعب بالبوس الذي افتتح عام ١٣ ق.م.

(٤٦) ثاميراس موسيقى شهير من طراقيا هام بربات الفنون ، ثم تحداهن في مباراة موسيقية ، واتفقوا على أن يكون الخاسر رهن مشيئة الفائز ، فخسر ثاميراس وفقأت ربات الفنون عينيه وحرمنه صوته الرخيم وحطّمن قيثارته . كذلك اشتهر ثاميراس بأنه مبتكر اللواط في العالم .

(٤٧) أموبيبوس عازف أثيني ذاعت شهرته وأصبح اسمه كناية عن مهارة العزف .

(٤٨) الشاعر إينيوس (٢٣٩ ــ ١٦٩ ق.م.) هو أبو الشعر الروماني في أغلب صيغه وخاصة الملحمة .

(٤٩) سكيپيو الأفريقي قائد روماني عظيم غزا شمال افريقيا .

(٥٠) داناي هي بنت أكريسيوس وطئها چوپيتر في صورة سيل من الذهب حين سجنها أبوها في برج منيع درءاً لنبوءة عراف بأن حفيده سيقضي عليه . وشاءت الأقدار أن تتحقق النبوءة ويقضي عليه حفيده پيرسيوس عن غير قصد .

(٥١) تنسب بعض الأساطير إلى مينرڤا [أثينا أو پالاس] ابتكار المزمار ، وقيل إنها نفخت فيه أمام ڤينوس وچونو فسخرت الإلهتان من تشوه وجهها بينا تنفخ ، ووافقتهما مينرڤا الرأي حينما طالعت صورتها منعكسة على صفحة الماء فقذفت بالمزمار بعيدا ، وتكهنت بالموت لمن يعثر عليه ، حتى وجده مارسياس ومات مسلوخ الجلد .

(٥٢) كانت تكمسا أسيرة لأچاكس ومن ثم لازمها الإكتئاب .

(٥٣) كانت عصا الكرم الرمز المميز لقائد السرية « سنتوريون » ، وترمز إلى حقه في جلد جنوده العصاة .

(٥٤) هي أسماء العاشقات الثلاث للشعراء تيبوللوس وپروپيرتيوس وجاللوس أصدقاء أوڤيد .

(٥٥) الاسم المستعار لخليلة أوڤيد .

(٥٦) عاهرة أثينية مشهورة .

(٥٧) كان الپريتور يلمس بصولجانه الأَمَة الجديرة بأن تعتق ، ومن ثم فإن هذه العبارة كناية عن المرأة الحرة .

(٥٨) أَرْجُسْ هو حارس إيو ذو المائة عين الذي قتله ميركوريوس .

(٥٩) كان النبيذ الأسباني يعد في روما نوعا رديئا .

(٦٠) اشتهرت جزيرة ليمنوس بأن نساءها قتلن أزواجهن جميعا .

(٦١) يروى اوڤيد هذه القصة بالتفصيل بكتابه « مسخ الكائنات » .

(٦٢) الترسوس أو صولجان باكخوس هو قضيب تلتف عليه مخاريط الصنوبر أو عناقيد الكروم .

(٦٣) قد تكون المقصودة بالتشبيه هنا هي لاوداميا زوجة پروتيسلاوس ابن ملك ثيساليا الذي هجر زوجته للاشتراك في الحرب الطروادية فكان أول من صرعه الطرواديون من الآخيين . وقد حزنت لاوداميا عليه حزنا شديدا وأرسلت شعرها منسابا فوق كتفيها دليل لوعتها ، ثم صنعت تمثالاً خشبياً على هيئة زوجها وراحت تحتضنه كلما نامت بفراشها كما سبق القول . وعندما علم حموها بذلك أمر بحرق التمثال فألقت لاوداميا بنفسها في المحرقة معه . والتشبيه هنا غامض بعض الشيء لعدم مواكبته سياق النص الأوڤيدي .

(٦٤) اشتهر الفرسان الپارث بالتظاهر بالانسحاب أمام العدو لاستدراجه ، ثم يستديرون بأجسادهم على صهوات جيادهم يطلقون سهامهم على غرة صوب أعدائهم بينا جيادهم لا تزال منطلقة في الاتجاه نفسه كأنهم يفرون .

(٦٥) حامل فويبوس الثلاثي هو الحامل الذي كانت تجلس عليه العرافة الشهيرة بمعبد دلفي ، ويذكر الحامل أحيانا كناية عن العرافة .

(٦٦) قيل إن باكخوس قد شيد محراب أمون ذي القرنين تمجيدا لأبيه چوپيتر أمون . وقد لقبه باسم آمون لأنه كان قد ظهر على شكل الإله آمون المصري في رؤيا لهرقل ، أو على قول البعض في رؤيا لباكخوس نفسه حين كاد العطش يودي به في صحراء أفريقيا فأرشده چوپيتر آمون إلى ينبوع ماء . وكان معبد چوپيتر آمون في سيوه بصحراء مصر الغربية ، وكان به عراف شهير جاء إلى المعبد قبل عهد الامبراطور أوغسطس بثمانية عشر قرناً تقوده يمامتان طارتا من صحراء مصر الغربية ثم اختفتا . واعتاد هرقل وپيرسيوس وغيرهما الالتجاء إلى هذا العراف . وحينما تنبأ بأن الاسكندر هو ابن چوپيتر انصرف عنه الناس لنفاقه . وأغلب الظن أن الاسكندر هو مشيد هذا المعبد .





ثبت المراجع

CARCOPINO, Jérôme: «*La Vie Quotidienne à Rome à l'Apogée de l'Empire*» Edition Hachette. Paris 1939.

CARY, M., DENNISTON, J. D., DUFF, J. Wight, NOCK, A.D., ROSS, W.D., SCULLARD, H., with the assistance of ROSE, H. P. and SOUTER, A., : «*The Oxford Classical Dictionary*». Oxford 1949.

FRÄNKEL, Hermann : «*Ovid, A Poet between Two Worlds*». Berkeley and Los Angeles, 1945.

PAOLI, Ugo Enrico : «*Rome, Its People, Life and Customs*» Longmans Green and Co. Ltd. London 1967

PARIS, Gaston, : «*Les Anciennes Versions Françaises de* **l'Art d'aimer** *et des* **Remèdes d'amour** *d'Ovide, dans* **la Poésie du Moyen-Age**.» Première Série. Paris 1885.

RAND, E. K. : «*Ovid and his Influence*». Boston 1925.

SCHEVILL, Rudolph : «*Ovid and the Renascence in Spain*», Los Angeles 1913 .

SHAPIRO, Norman R. (Translation) with WADSWORTH, James B. (notes and commentary) : «*The Comedy of Eros, Medieval French Guides to the Art of Love*». Urbana, Chicago, London, 1971.

SIMPSON, D. P. : «*Cassell's New Latin-English, English-Latin Dictionary*». London, 1959.

WILKINSON, L. P. : «*Ovid Surveyed*». Cambridge, 1962.

WRIGHT, F. A. : «*Lemprière Classical Dictionary of Proper Names Mentioned in Ancient Authors*». London 1949 (first published in 1780)



تم طبع الكتاب

بمطابع الشروق







هـذا الكتاب

ما يكاد القارئ يطالع « فن الهوى » لمؤلفه أوڤيد حتى يستهويه ما جاشت به عواطف هذا الشاعر ، وما انطلق به لسانه في عبارات أنيقة وصياغة دقيقة للأساطير القديمة ، فيها مزيج من ثقافة عصره وأحاسيس وجدانه ، حتى لقد انتزع إعجاب الكثرة من علماء العصور الوسطى ، كما ترك أثراً واضحاً في مختلف فنون العصور التالية وخاصة عصر النهضة .

ويجمع هذا الكتاب بين دفتيه ثلاثة كتب أنشأها المؤلف في العامين الثاني والأول قبل الميلاد ، وكان قد بلغ الأربعين أو زاد عليها قليلاً . فليس غريباً إذن أن تكون نظرته للحب غيرها حين كان في العشرينات . فما من شك في أن المؤلف كان ذا خبرة واسعة في فنون الهوى تتفق ورجل اكتملت له رجولته موزعاً زهرة عمره بالقسطاس بين المتعة العاطفية والحسيّة ، فوقف في النهاية على قمة تجاربه واثقاً ممسكاً بزمام تلك العاطفة عليماً بخباياها ، فإذا أوڤيد يسوق الحب على أنه لعبة أو تسلية ، فجاء عرضه يتسم بالسخرية ينال فيها من يشاء ، يستوي في ذلك أن يكون من نال منهم آلهة أو بشراً . ورأى أن يقدم إلى شباب جيله والأجيال التالية حصيلة خبراته أستاذاً متمكناً ، مغلفاً هذا كله بغلاف من خفة الظل والذكاء ، مازجاً بينه وبين الأساطير التاريخية وثقافة عصره .

ويشرح أوڤيد في الكتاب الأول كيف يجد طالب الهوى ساعياً ليستولي على قلب خليلته ، وفي الثاني يعلّمه كيف يحتفظ بحبها إلى أطول أمد ممكن . وفي الكتاب الثالث يتوجه إلى المرأة بنصائحه فيعلّمها كيف توقع الرجل في حبائلها ، وكيف تحتفظ به تحت أقدامها أطول مدة .

ومما نال من مشاعر أوڤيد وأدمى نفسه نفي الإمبراطور أوغسطس له إلى مدينة جرداء على البحر الأسود إثر ظهور كتابه « فن الهوى » مدّعياً أنه دعوة لا أخلاقية ، بينا ينسب شاعرنا هذا النفي إلى إذاعته سراً من الأسرار لا لجريمة من الجرائم . ويشيع البعض أن النفي كان عقاباً على مغامرة طائشة لأوڤيد مع چوليا إبنة الإمبراطور . وأياً كان السبب فلقد ظل الشاعر في منفاه إلى أن وافاه أجله المحتوم .

وجاء الدكتور ثروت عكاشة ، الأستاذ الزائر بالكوليج ده فرانس الذي أختير لشغل « كرسي الدولة بها » عام ١٩٧٣ ، فنقله لأول مرة إلى اللغة العربية بعد ألفي عام من ظهوره ، وبعد أن ترجم من قبل كتاب أوڤيد الشامخ « مسخ الكائنات » أو « ميتامورفوزيس » ، وذلك في عبارة طلية شيقة ، وزوّده بسبع وعشرين لوحة رسمها كبار الفنانين منتقاة من مختلف متاحف العالم تنطق نطق العبارات ، ويجد فيها القارئ بياناً وافياً .